شعر التهاني في ديوان ابن فركون

" قيم تاريخية "

الدكتورة

إيمان السيد أحمد الجمل

الأستاذ المساعد في المعهد العالي للإعلام بالإسكندرية

المقدمة

تأتي أهمية البحث (شعر التهاني في ديوان ابن فركون "قيم تاريخية") من كونه يتناول غرضًا مهمًا من أغراض الديوان[1]، وهو شعر التهاني، والذي يكشف عن أحداث وشخصيات طالما أغفلت المصادر ذكرها، فهي تمثل مادة تاريخية خاصة بأحد ملوك الدولة النصرية يوسف الثالث وتميط اللثام عن أحوال مملكة غرناطة في عهده، والسياسات التي اتبعها في سبيل تثبيت واستقرار مملكته وإطالة عمرها. ولم يسقط التأريخ لهذه الفترة فحسب، بل لم نجد لصاحب الديوان ذكرًا في سائر المصادر القديمة، فيعتبر الديوان ترجمة لصاحبه ولمليكه وصاحب نعمه. على أننا لن نتطرق في هذه الدراسة إلى أغراض غير غرض التهاني التي كان ابن فركون يتوجه بها إلى السلطان يوسف الثالث في كافة المناسبات والأحداث، سواء في ذلك الرسمية أم غيرها من المناسبات الخاصة، مما يجعل حياة الملك صورة واضحة لم يترك فيها ابن فركون شاردة ولا واردة إلا وقد أحصاها وتعرض لها.

ولبكارة اكتشاف الديوان الذي ظهرت طبعته الأولى في عام ١٩٨٧م فإنه مازال ينتظر العديد من الدراسات لما يحمله من قيم عظيمة تنير أحوال الشعر الأندلسي في نهاياته كما تحكي تاريخًا ضنَّت به كتب التاريخ.

وقد قام بتحقيق الديوان الأستاذ محمد بن شريفة عن مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، وقدَّم له بمقدمة مسهبة تناولت دراسة دقيقة تروي الحقيقة المفقودة حول يوسف الثالث وعصره. إن هذه الثروة الشعرية أغرت الدارسين بالبحث في شخصية ابن فركون صاحب الديوان وفي شخصية مليكه يوسف الثالث، وما دار في عصره من أحداث شكلت ملامح المملكة الغرناطية وعلاقاتها مع جاراتيها القشتالية والمغربية.

وتتصدر الدراسات التي تعرضت لديوان ابن فركون بصورة عامة دراسة بعنوان "ابن فركون الأندلسي شاعر غرناطة" لقاسم القحطاني وهي صادرة عن دار الكتبالوطنية أبو ظبي الإمارات٢٠٠٩، وكذلك دراسة بعنوان "شعر ابن فركوندراسة موضوعية فنية" للسامرائي بان كاظم مكي، الآداب، بغداد، ٢٠٠٥م، كما توجد دراسة بعنوان "البناء الفني في شعر ابن فركون" لسناء ساحب هداب صادرة عن مجلة كلية الآداب – الجامعة المستنصرية ٢٠٠٧م، وجميع هذه الدراسات تتناول شعر ابن فركون من الناحية الفنية، وقد زادت عليها الدراسة الأولى لقاسم القحطاني حيث تعرض لجميع أغراض الديوان من الناحيتين التاريخية والفنية.

وعن المصادر التي عادت إليها الدراسة فهي خلو من الإشارة إلى ابن فركونوشعره، ومنها: الإحاطة، والكتيبة الكامنة، ونيل الابتهاج، ونفح الطيب، وجنة الرضي، وأزهار الرياض وغيرها من كتب التراجم التي ترجمت لوالده وجدِّه، كما ترجمت ليوسف الثالث.

وعن فترة حكم النصريين وأحوال مملكة غرناطة فقد استفادت الدراسة بكتب التاريخ نحو: معالم تاريخ المغرب والأندلس لحسين مؤنس، ودولة الإسلام في الأندلس لمحمد عبد الله عنان، ولمحة من تاريخ الأندلس لأنطونيو بالاثيوس روميرو.. وغيرها من المراجع التي أفادت الدراسة منها في معرفة أحوال مملكة غرناطة وملكها يوسف الثالث..

وعن المنهج الذي اتبعته الدراسة فهو المنهج التاريخي الاستقصائي لمناسبته للموضوع حيث الدراسة تعني بالكشف عن القيم التاريخية التي حملتها أشعار التهاني في الديوان.

وقد ارتأيت أن أُقسِّم الدراسة إلى مقدمة تبرز أهمية البحث ومنهجيته، ثم التعريف بصاحب الديوان ومليكه .. ثم أُقسِّم الدراسة إلى أربعة مباحث: الأول منها

في بواعث ومناسبات شعر التهاني، والثاني يبحث في أهمية التهاني ومقدمات شعر التهاني في الديوان، وعن المبحث الثالث فإنه يهتم بمضامين شعر التهاني وما تحمله من قيم تاريخية ، ثم تهاني ابن فركون في ميزان النقد.

ثم أختم الدراسة بخاتمة أستخلص فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

التعريف بابن فُركون:

«ابن فركون هو أبو الحسين بن أحمد بن سليمان بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هشام القرشي المعروف بابن فركون (بضم الفاء)، كما ضبطها هو بخط يده دائمًا في "مظهر النور الباصر"»[٢].

ويشير مقدِّم الديوان إلى أنه «لا توجد له ترجمة في المراجع الموجودة، ولعل ابن عاصم عَرَّف به في الروض الأريض المفقود الآن. ولا نعرف له اسمًا إذ إنه يذكر نفسه ويذكره غيره دائمًا بأبي الحسين»[٣].

وعن أبيه فقد ذكرته كتب التراجم[٤]، وعنه في نيل الابتهاج: «أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هشام القرشي أبو جعفر، يعرف بابن فركون، قاضي الجماعة. قال ابن الخطيب في عائد الصلة: من صدور القضاة بالأندلس في الاطلاع بالمسائل ومعرفة الأحكام لكثير المطالعة والاجتهاد، مشاركًا في فنون من فقه وعربية، وقراءة، وفرائض، طيب النغمة حسن التلاوة، عظيم الوقار، فائق الأبهة...

وقال الحضرمي في فهرسته: شيخنا الجليل قاضي القضاة العدل النزيه العارف الصدر الشهير الفضائل...»[٥].

وأشار إلى جده ابن الخطيب في الكتيبة الكامنة بقوله: «الشيخ أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن فركون العشري، قاضي ركب الكفاية ظهرًا، وجعل الاجتهاد للخطة مهرًا، ولد سنة ٦٤٩، وتوفى سنة ٧٢٩، ولى القضاء

برندة ومالقة ثم ولى قضاء الجماعة بغرناطة، ثم صُرِفَ عن القضاء في بعض الأحداث السياسية فانقطع إلى أرض له خارج غرناطة، ترجم له ابن الخطيب في عائد الصلة والتاج والإحاطة ، وأيضًا (الإحاطة ١ : ١٥٩)، وقال: وذكره أبو بكر بن الحكيم في كتابه "الفوائد المستغربة والموارد المستعذبة" من تأليفه، وانظر ترجمته في المرقبة العليا: ١٣٨، ونيل الابتهاج: ٣٩ (ط. فاس) وفيه نقل عن فهرسة الحضرمي»[٦].

وقد ألمح أبو الحسين بن فركون إلى مولده في قوله:

ومن بعد ما مرَّتْ ثلاثون حِجةً وسبع يرام الأنس أويتوهم

علمًا بأنه قال هذه المدحة النبوية في عام ثمانية عشر وثمانمائة، لذا يكون من المستنتج أن ميلاده في سنة سبع مئة وواحد وثمانين من الهجرة، كما سجل هذا محقق الديوان.

المبحث الأول

تهاني ابن فركون – بواعث ومناسبات

أولاً: بواعث شعر التهاني:

- **الاتصال بالسلاطين.**
- **المكانة الاجتماعية.**

ثانيًا: مناسبات شعر التهاني:

- **المناسبات الرسمية.**
- **المناسبات الخاصة.**

أولاً: بواعث شعر التهاني عند ابن فركون:

١- الاتصال بالسلاطين.

٢- المكانة الاجتماعية.

١- الاتصال بالسلاطين:

هيأت مقومات الميراث الأدبي لدى ابن فركون التي تشبع بها إرثًا أصيلاً عن أبيه أحمد بن فركون قاضي الجماعة، وكذلك عن جده إبراهيم بن فركون، واللذان تقلبا في مراسم الممالك والوظائف السلطانية، مما أنبت فتى موسومًا بالذكاء والفطنة وممتلكًا أدوات النبوغ الشعري والخط الملوكي الجميل .. هذه الأدوات أهلت إضافة إلى تشجيع كبار القضاةله وإعجابهم بملكاته أن يدفعوه إلى تقديم أشعاره بالتهنئة والمديح إلى السلاطين، من هؤلاء القضاة: الشريف أبو المعالي الحسني، وكان في نفس ابن فركون في هذه السنتوق إلى إيجاد مكان في ديوان الإنشاء، وقد كان له ذلك في عهد محمد السابع، ومن بعده نال الحظوة والمكانة عند السلطان يوسف الثالث بعدما تقدم له بالتهنئة بعد التهنئة حتى نال ما كان يرنو إليه ويستشرف، فأنفذه على خطة تنفيذ الغزاة ويقصد بها الإشراف على إخراج نفقات الجهاد والمجاهدين. يقول مقدِّم الديوان: «ومن التاريخ المذكور أصبح أبو الحسين في خدمة يوسف الثالث وغدا شاعره المختص به، المؤرخ لأيامه بشعره، ثم ازداد منه قربًا، بعد أن اختاره لتولي كتابة سره عام أربعة عشر وثماني مائة، وبهذا صار ملازمًا له في الحضر والسفر، ينشد القصائد بين يديه في الأعياد والمناسبات، ويقول الشعر في مختلف الواقع والأزمات ولم يترك صغيرة ولا كبيرة مما جرى في عهد الناصر إلا سجلها»[٧].

ومما كان له أكبر الأثر في احتفاء ابن فركون بنظم قصائد التهاني في هذا المضمار كون يوسف الثالث شاعرًا مهتمًا اهتمامًا كبيرًا بالشعر وأصحابه، ومن مظاهر اهتمام يوسف الثالث بالشعر والشعراء جمعه لأشعار ابن زمرك في ديوانه، كما اهتم بتقريب الشعراء والاستماع إليهم في المناسبات، فكان يجزل لهم العطاء، ويذكر في مقدمة الديوان عن يوسف الثالث[٨]: «وقد جمع خديمه أبو الحسين ابن فركون الأمداح التي قيلت فيه في مجموع سماه "مظهر النور الباصر في أمداح الملك الناصر" يقع في عدة أسفار[٩].

ويشير ما ذكره ابن شريفة إلى المكانة التي احتلها الشعر في نفس يوسف الثالث مما دفع بابن فركون إلى الاعتناء الشديد بشعر التهاني الملوكية التي تعددت أغراضها بتعدد المناسبات سواء في ذلك السياسية أم الخاصة بالسلطان والتي سيكون لها تفصيل فيما سيأتي من صفحات.

وقد تمتع السلطان يوسف الثالث بالنشاط والهمة والرغبة في الاطلاع على كل أمور المملكة بنفسه مما جعله كثير التفقد والغزوات والتنقل مما يفسر كثرة شعر التهاني بنصر أو بإياب في ديوان ابن فركون، كما يفسر تمسك يوسف الثالث بشاعرنا كاتمًا لأسراره، وانطلاقًا من هذه الحياة السياسية التي عاشها ابن فركون بكل تفصيلاتها فقد يظهر هنا باعث آخر شديد الأهمية يلقي الضوء على شعر التهنئة في الديوان والمستوى الذي ارتقته ووضعته في مكانته لما اتسم به من قيم متعددة، ذلك الباعث ناشئ عن تلك الصلة التي توثقت بين السلطان وكاتم سره وهو باعثيفسر تلك الكثرة من شعر التهنئة في الديوان، ذلك الباعث دعا إلى نشوء حالة شديدة الإخلاص والحب والاهتمام والإعجاب بشخص يوسف الثالث، مما سنفسره فيما بعد، وحالة من احتفاء يوسف الثالث بكاتم سره فأخذ كما يذكر مقدِّم الديوان «يسمي له أولاده، ويمنحه الهبات»[١٠]. مما يضاف إلى بواعث نظمه في تهانيه لمخدومه.

٢- المكانة الاجتماعية:

إن انخراط ابن فركون في السلك السلطاني وتأكد مكانته في مملكة غرناطة وعلوها لدى من اتصل بهم من سلاطين، وعلى وجه الخصوص يوسف الثالث، وتقلبه في نعم الرضا والقبول لديه حتى تولى كتابة سره، كل ذلك كان باعثًا مهمًا على اعتلائه مكانة اجتماعية مرموقة تثير الإعجاب حينًا وتثير الغبطة حينًا آخر، فكانت تلك المكانة إضافة إلى مكانته الأسرية ونسبه وتاريخ أسرته وأدبه وحسن طباعه كل ذلك كان من أهم البواعث الاجتماعية على اعتبار شعر التهاني ظاهرة في الديوان وعلى اهتمامه به أيما اهتمام، فقد تعددت صلات الرجل بالكثير من رجالات المجتمع وأهل العلم والأدب، فكثر إخوانه منهم ودارت بينه وبينهم مجاوبات تحمل التهاني بما يعترض من مناسبات خاصة أو رسمية، ومن هؤلاء الرجال كما ذكر

صاحب المقدمة «فمنهم الشريف أبو المعالي الحسني قاضي الجماعة وأخوه كبيره أبو العباس ... ومن إخوانه الفقيه القاضي أبو عبد الله الأليري .... ومنهم الفقيه أبو القاسم بنحاتم المالقي ... ومنهم الفقيه القاضي أبو الفضل بن أبي جماعة»[١١]، وغيرهم كثير.

وهكذا فإنه يمكن القول إن المكانة السياسية التي وصل إليها ابن فركون باتصاله بولاة الأمور وما تبعها من مكانة اجتماعية رفيعة كانتا باعثًا قويًا ومهمًا وأساسيًا في نظم ابن فركون، هذا العدد الكبير من غرض التهنئة في ديوانه والذي يعتبر بذلك ظاهرة تستحق الوقوف عندها استجلاءًا لأغراضها والقيم التاريخية التي تحملها، فقد كانت لهذه الصلات مستلزمات المجاملات حينًا والوفاء والصدق في الأحايين الأكثر، مما سنجده يضفي عليها قيمًا نستجليها في موضعها.

ثانيًا: مناسبات شعر التهاني:

١- المناسبات الرسمية:

٢- المناسبات الخاصة:

يكاد ديوان ابن فركون يخلو من تهنئة لغير مخدومه السلطان الناصر يوسف الثالث بحسب ما وصل إلينا جمعه ابن شريفة، فيكون بذلك شعر التهاني في ديوان ابن فركون خاصًا بالسلطان الناصر مما يلفت النظر إليه فمع كونه موجه لشخص واحد غير أنه تمتع بثراء الأغراض وتعددها، فقد كانت ملازمة ابن فركون للسلطان سببًا أكيدًا في وفرة قصائد التهنئة التي تنوعت أسبابها حسب الأحداث والمناسبات، ويمكننا أن نقسمها إلى تهاني رسمية وتهاني خاصة وكلها تتصل باية السلطان لا غيره فقد كان كما يذكر ابن عبد ربه عن كتاب الملوك «عيونهم الناظرة، وآذانهم الواعية، وألسنتهم الناطقة»[١٢].

١- المناسبات الرسمية:

اختلفت مناسبات شعر التهاني في ديوان ابن فركون بحسب المناسبات السياسية التي عاشها يوسف الثالث. فقد قدّم ابن فركون لسلطانه قصائد اختلفت في شكلها من حيث الطول والقصر بحسب المناسبة، ومما يمكن أن يقال إن جميعها اتخذت الشكل التقليدي الذي اختلف عما وجدناه في الديوان من أشكال العروض

المتعددة نحو: التوشيح والمخمسات والدوبيت ... إلخ. غير أن قصائد التهاني اتبعت الشكل العروضي الرصين لتتناسب مع أحداثها.

أولاً: مناسباتالتهاني الرسمية:

أ- العيديات:

من المهم أن نتعرف في هذا الجزء من البحث إلى الأحداث التي دفعت شاعرنا إلى تقديم التهاني والتي بها سيتعدد الغرض من التهنئة، وأول ما يلاحظ في ذلك أن التهاني الخاصة بقدوم الأعياد (الفطر أو الأضحى) بلغت عشرين قصيدة من أصل ٥٠ قصيدة تهنئة هي ما حواها الديوان. وبذلك يكون شعر التهاني بلغ نصيبًا وفيرًا من أغراض الشعر عند ابن فركون، ويكون للتهاني بالأعياد النصيب الأوفى؛ لذلك يلزم الابتداء به حيث حرص الملوك والسلاطين والأمراء على الاحتفاء رسميًا بمقدم الأعياد الإسلامية باعتبار هذا الاحتفاء مؤكِّد للسلطة ومن موجبات مراسم الحكم نحو قضاء الصلاة وتجديد البيعة، وتتعدد المشاهد الدالة على ذلك مما دفع بشعراء البلاط والوزراء الشعراء إلى إظهار الحفاوة بتلك المناسبة الدينية بالشكل الملائم لمقامها وكان يسمى بالعيديّات. ومنها ما كان يقدم له بتهنئة الخلافة اليوسفية الناصرية، مما يؤكد ارتباط المناسبة رسميًا بالخلافة والحكم، ويحدد فيها مسمى العيد فطر أو أضحى وعامه، وهو بذلك يؤرخ للمناسبة مما تحتاجه كتب التاريخ والسياسة للإثبات والتدليل.

وقد أثبتت العيديات في الديوان مرتبة فطر ثم أضحى وبدأها بعام ٨١١هـ، وهي أول عيدية إلى عام ٨١٧هـ، وهي آخر عيدية حتى يذكر في الديوان البداية. «ومن العيديات قلت أهنئ الخلافة اليوسفية الناصرية أدام الله أيامها بعيد الفطر من عام أحد عشر وثماني مائة، وهي أول عيدية هنأته بها من غير إنشاد»[١٣]، ومطلعها:

أمن بارق في الدجى أومضا جننت إلى ذكر عهد مضى[١٤]

ويذكر ابن فركون آخر عيدية «إلى هذه القصيدة انتهى تقييد العيديات المهنأ بها مولانا أيده الله ونصره على نسقٍ وهي أقرب منظوم صدر عني لتاريخ كتب هذا وتقيد بعد ما يقع لليد من مبيضات الشعر الصادر عني إن شاء الله»[١٥]، ومطلعها:

هنيئًا به يا ناصر الدين موسما يغادر أهل الشرك نهبًا مقسما[١٦]

ب- البيعة:

تعتبر البيعة للسلطان من المناسبات الرسمية التي توجه به ابن فركون إلى اثنين فقط من السلاطين أولهم السلطان يوسف الثالث، وكان هذا أول ما ألقي بين يديه، وقد وردت القصيدة بدون تقديم على غير ما عودنا الشاعر في ديوانه، ويذكر ابن شريفة أن هذه التهنئة هي أول قصيدة يرفعها الشاعر إلى الملك غداة بيعته ومطلعها، يقول فيه:

إليك تباشير البشائر مقبلة تلوح بآفاق الهدى متهلِّله(١٧)

وقد أردفها بتهنئة ثانية في اليوم الثاني، ويذكر أن لها حكاية لكنه لا يصرح بها في التقديم. وقد يكون تفسير ذلك كما ذكر ابن شريفة أن الحكاية وردت في سفر سابق «لعله السفر الأول من الديوان»(١٨). ولكن هذا السفر لم يصلنا، وهذه التهنئة مطلعها:

هنيئًا فصنع الله وافاك بالبشرى وأبدى محياه الطلاقة والبشر(١٩)

وعن التهنئة الثانية بالبيعة فقد تقدم بها شاعرنا إلى ولي عهد السلطان يوسف الثالث بعد الوفاة، ومطلعها:

أخطب هوى بالنيرات من العلا وبشرى بها وجه الزمان تهللا(٢٠)

وتشير مقدمة القصيدة التي يقول فيها ابن فركون: «وأسرينا بتابوته تلك الليلة فوصلنا الحضرة ضحى يوم العيد، ولم يشعر أحد من أهل البلد، لاشتغالهم بصلاة العيد، حتى استقر الجميع بالحمراء، وعند ذلك شرعنا في بيعة ولي العهد أيده الله ومواراة المولى المنعم رحمة الله ورضوانه عليه، وفي أول يوم أجلس ولي عهده بقبة مشورة حيث جرت عادة السلام. قمت بين يديه منشدًا هذه القصيدة في هنائه بالملك ورثاء والده قدَّس الله روحه وبرَّد ضريحه»(٢١).

تشير كما كشفت المقدمة عن شخص ولي العهد الذي اعتلى عرش الملك، وهو ابن يوسف الثالث، ومما يذكر في هذه القصيدة إنها مزجت بين التهنئة لولي العهد بالبيعة له ورثاء والده ليكون ابن فركون بذلك أول من شفع التهنئة بالتعزية مما سنقدم له في موضعه.

ج- دخول المدن وتحقيق الانتصارات:

يعتبر هذا الغرض من الأغراض التي أنشئت لأجلها قصائد التهنئة للسلطان يوسف الثالث، ومنها تهنئة بدخول المسلمين من أهل رندة صخرة عناد ومطلع القصيدة يقول فيها ابن فركون:

هو النصر قد أجرى لديك جيادهو الفتح قد ألقى إليك قياده(٢٢)

وقد قدم لها ابن فركون بقوله: «ولما دخل المسلمون من أهل رندة صخرة عناد أعادها الله واستأصلوا من وجدوا بها قتلاً وإسارًا إلا قليلاً منهم اعتصموا بقصبتها ورد البشير بذلك قلت أهنئ مقامه الكريم للحين وهي من المرتجلات في يوم الأربعاء الرابع لذي الحجة عام اثني عشر وثماني مائة»(٢٣).

ومنها تهنئة السلطان بحلول جيشه ساحل المغرب وتعاونه مع السلطان السعيد وتلبيته نداءه بالمناصرة. يقول في مطلعها:

أناصر دين الله هنئته صنعًا بشائر تهديك ما يملأ السمعا(٢٤)

وفي عودة جيشه المنصور من فتح طنجة يقول مهنئًا يوسف الثالث:

ناصر الدين خذ إليك بشارة قد كستها الفتوح أبدع شارهْ(٢٥)

ومما يذكر في هذا الغرض قوله مهنئًا بوصول البشير من الأمير أبي الحسن (أخو يوسف الثالث) يبشر بدخول جبل الفتح، يقول مطلعها:

تجلّى صباح الفتح من جبل الفتح فهنئتها بشرى تجلّ عن الشرح(٢٦)

وكذلك قوله في الغرض ذاته بتهنئة مولاه بنزوله جبل الفتح بعد فتحه، يقول في مطلعها:

هنيئًا بصنع نحوه النصر قد خطا ترامى له سبعًا وما قَصَرَ الخُطا(٢٧)

وفي قصيدة أخرى للغرض نفسه يهنئ السلطان «بحلول ركابه العلي بظاهر مالقة بإثر مخالفة المارقين من أهل جبل الفتح»(٢٨)، ومطلعها:

هنئت يا مولى الورى مَقْدَما اطلعت للسعد به أنجمًا

حلت من مالقة منزلاً زاحم في العليا شهب السما[٢٩]

«وفيما حقه أن يلحق بما تقدم قبل من العيديات على التوالي أنشدته رضوان الله عليه في عيد الفطر من عام ثمانية عشر وثماني مائة بحضرته العلية»[٣٠]. ومطلعها:

حفَّت ملائكة السماء جنودا بكتائب نشرت عليك بنودا[٣١]

ويقول في آخر ما أنشد من العيديات: «وأنشدته في عيد الأضحى من عام تسعة عشر وثماني مائة المذكور، وقد وصل العباس بن غمراسن وولد اللبابي من قبل السلطان أبي سعيد مستنصرًا به على أخيه أبي علي المتوفى أثناء إقامتها بالحضرة قتيلاً بعد هزيمة انجرت عليه بظاهر فاس، وقبض عليه بعد ذلك وسيق لمصرعه بين يدي أخيه، وكان رسوله قد انصرف صحبة قاضي الجماعة وجاز البحر قبل ذلك بيسير، وهذه القصيدة آخر ما أنشدت بين يديه بلفظي وتضمنت وصف المير وعرض جنده قبل العيد وما تظاهر به من السلاح والخيول والعدد التي قدم العهد بمثلها»[٣٢]، ومطلع القصيدة:

تحييك من شهب الجياد طلائع كما وضحت بالأفق شهب طوالع[٣٣]

وكما تشير مقدمات العيديات التي صدّر بها ابن فركون قصائده، فإنها في حد ذاتها تحمل من القيم التوثيقية التاريخية ما يبقى لنا مناسبات جليلة وإضاءات تاريخية مهمة لتأريخ تلك الفترة من القرن التاسع عشر الهجري فيما سيتبين بصورة أكثر وضوحًا حين دخولنا عالم العيديات. مما يلفت النظر إلى أهمية دراسة هذه القصائد لما تحمله من قيمة تاريخية عظمى.

د- العودة والإياب:

تتعدد غدوات السلطان يوسف الثالث وروحاته ما بين عودة من فتح ونصر وعودة من مباشرة أمور مملكته وتفقده أحوالها ووقوفه على استتباب أمورها وإصلاح أحوالها، أو عودة من متنزه وراحة. فقد كان يوسف الثالث كثير التحرك والتجوال حرصًا على مراعاة شؤون مملكته ورعاية لمصالحها. فكان ذلك مناسب لنظم التهاني اليوسفية، ونرى ابن فركون يقدم هذا المناسبة من مناسبات التهاني مهنئًا ومستبشرًا بعودة سلطانه ومليكه، ومن ذلك قوله مهنئًا السلطان بعودته إلى الحضرة بغرناطة من

مالقة بعدما استعرض جندها وأمر بإراقة الخمور وتغيير المنكر وإذاعة أفعال الخير، فكان ذلك جديرًا بالتهنئة، فيقول في تلك المناسبة:

هناء كعرف الزهر للمتنسم وبشرى كنور الزهر للمتوسم

فقد قامت الدنيا على قدم الرضى تهنئ مولانا بأسعد مقدم[٣٤]

وعن عودة السلطان من متنزه يقصده للراحة والاستجمام، يقول ابن فركون مهنئًا:

أجلها في أباطحها جيادًا تجدُّ السير طوعًا وانقيادا

وعرّس بالركائب في رباها فتلك حداتها تبغى ارتيادا[٣٥]

وفيها يهنئ السلطان «عند عودته من الوجهة إلى قرية وادَ متنزهًا»[٣٦].

ومما يذكر كذلك ما نظمه في «هناء المولى المنعم السلطان أبي الحجاج الناصر لدين الله رحمة الله عليه ورضوانه، وقد احتل ركابه بقصر نُبْلُه إلى المَنَكّب وشَلوْبانية»[٣٧]، ويقول في مطلعها:

لمن الركائب نحو رامة ترتمي من بعد طول تأمل وتكوُّمِ[٣٨]

«وقد كان الملك يتردد مثل أسلافه على المنكب للراحة والاستجمام في قصر القلعة»[٣٩].

تنتهي إلى هنا أغراض التهنئة الخاصة بالمناسبات الرسمية الخاصة بالسلطان يوسف الثالث.

ب- مناسبات التهاني الخاصة:

فرضت علاقة ابن فركون بملك غرناطة أبو الحجاج يوسف الثالث الملازمة المستمرة له، مما كان له الأثر الأكبر في كثرة القصائد التي كان ينظمها لأجل مليكه وصاحب نعمه، ومثلما عايشناه مهنئًا له في سائر المناسبات الرسمية من عيديات وعودات الانتصار وتفقد الرعية في سائر أنحاء المملكة .. وغير ذلك، فإننا نجده على المستوى الخاص بالحياة الاجتماعية ليوسف الثالث نجده بالمثل لا يفوّت مناسبة سارة إلا وقد سبك له أحلى المنظومات معبرًا عن سروره وسرور الأمة الإسلامية بتلك

الأحداث .. ومن ذلك قصيدتان بمناسبة إملاك السلطان، الأولى في زواجه الأول من بنت القائد أبي يزيد ومطلعها:

ما للركائب لا تَحُلُّ حِلاَلها وتطيل في تلك الربوع سؤالها(٤٠)

وعن الثانية فقد نظمها في دخول السلطان ببنت القائد أبي السرور مفرج، ومطلع التهنئة:

نسيم الصبا راع الصبابة وفده فما للجوى طيّ الجوانح وقده(٤١)

التهنئتان مطولتان فيهما عرض لفخامة الاحتفال بهذا الحدث السعيد الذي استدعى له الوفود من أهل البلاد النصرية بالرياض السعيد.

وأنشد ابن فركون تهنئة بكل ما يتصل بمجيء مواليد السلطان واحتفالات العقائق والإعذار، ومن ذلك قصيدة مرتجلة في ميلاد بكر أولاده ومطلعها:

هنيئًا به من عالم الكون وافدا وقد بلغ الإسلام فيه المقاصدا(٤٢)

وأنشد يوم عقيقة المولود مهنئًا ما مطلعها:

قف بالركائب ساعةً واستوقفِ

تحظَ الركائب ضحى بأشرف مَوْقفِ(٤٣)

وأنشأ مهنئًا سلطانه ببنت ولدت له قائلاً:

هنيئًا هنيئًا إمام الهدى وغوث الوجود وغيث الندى(٤٤)

وقال مهنئًا مقام السلطان بولادة الأمير أبي الحسن أصغر ولديه، ومطلعها:

معالم الدولة النصرية اتضحت بيوسف ومرامى قصده نجعت(٤٥)

وكذلك كتب إلى السلطان مهنئًا وقد ولد له مولود، يقول في مطلع القصيدة:

سمعًا فقد نطق اللسان المفْصِحُ ببشائرٍ غاياتُها لا تُشرَحُ(٤٦)

وكذلك قال مهنئًا بمولد عبد الله أحد أبناء يوسف الثالث:

هنيئًا هي الآمال حَيّتْ بِنُجْحِهَا بشائرها لاحت أشعةُ صُبْحِهَا(٤٧)

وقد تجمع المسرات في يوم واحد فيقام الاحتفال بعقيقة وإعذار وعقد البيعة لولي العهد فتجمع التهنئة عدة مناسبات تمزج بين الرسمية والخاصة، من ذلك إنشائه قصيدة تهنئة مطولة في عقيقة عبد الله وإعذار أخويه وعقد البيعة لولي العهد، وقد استدعى لذلك أكابر أهل البلاد النصرية، ومطلع القصيدة يقول فيه:

سل البان عنها أين بانت رِكابُه ولم رُفِعَتْ فوق المَطِيّ قِبَابُها(٤٨)

وهكذا يسجل ابن فركون جميع المناسبات الخاصة بميلاد أبناء يوسف الثالث.

ولم تقتصر تهاني ابن فركون على ما سبق من أمور تخص السلطان، فقد نراه ينظم التهنئة في شفائه من مرض أصابه وذلك في قصيدة مطلعها:

أَلَمٌ بمولانا الخليفة يوسف تُلْفِي القلوب به رهينَ تأسُّفِ(٤٩)

ونجده ينظم تهنئة أخرى لنفس المناسبة حين «استقل رضي الله عنه من مرضه وتمكنت راحته قلت في هنائه بذلك:

أراحت فؤادا لديها مَشُوقا غداة قضتْ من هواها حُقوقا(٥٠)

ومما يسلك في هذا المسلك تهنئة السلطان بالسلامة من الوقوع بعدما كبا به فرس وهو على سفح جبل شلير في وَجْرْ فأنشأ يهنئه بالسلامة، ومطلع التهنئة:

هنيئًا لدين الهدى الأشرفِ سلامة ناصرِهِ يوسفِ(٥١)

ويتوجه ابن فركون كذلك بتهنئة للسلطان حين تلقي هدية من أبي فارس الحفصي سلطان إفريقية واشتملت على الخيل المسوَّمة وسوى ذلك من عجائب إفريقية، يقول في مطلعها:

سل بالغَميم مَعَاهِدًا لم أنسها أتعيدُ أيامُ التواصُل أُنْسها(٥٢)

تبدى من استعراض العديد من مطالع التهاني ثراء هذا الغرض في ديوان ابن فركون لا على المستوى الرسمي فحسب، بل كذلك على المستوى الشخصي، مما يشير إلى المساحة الواسعة التي احتلها هذا الغرض من الديوان، والذي يدفعنا بطبيعة الحال

إلى البحث فيما دارت حوله معاني أغراض التهاني لهذه القصائد، مما سنتعرض له على الصفحات التالية.

المبحث الثاني
تهاني ابن فركون

- أهمية التهاني.
- مقدمات التهاني.

ما زالت الفترة التي يمثلها صاحب الديوان فترة المملكة النصرية الوسطى من أواخر القرن الثامن إلى أوائل القرن التاسع فترة لم يكشف التاريخ عنها سوى ما جاء في المدونات القشتالية التي لم تهتم بغير أخبار الممالك الأندلسية المسيحية وكانت بعيدة تمامًا عن مملكة غرناطة المملكة الإسلامية الوحيدة التي بقت في الأندلس، لذلك فإن ظهور المجموعة الشعرية لابن فركون تمثل باعث نور كشف العديد من جوانب تلك الفترة الخاصة بالسلطان يوسف الثالث.

«إن المصادر الإسلامية بالنسبة لهذه المراحل الأخيرة، من حياة الأمة الأندلسية قليلة ضعيفة. أجل لقد انتهت إلينا عن تاريخ مملكة غرناطة وأحوال طائفة من المراجع القيمة، في مقدمتها كتب الوزير ابن الخطيب، وما كتبه عنها ابن خلدون حتى حوادث عصره؛ ولذلك انتهت إلينا طائفة حسنة أخرى، عن تاريخ مملكة بني مرين، قرينة مملكة غرناطة، وعضدها الأيمن في الجهاد. ولكن هذه المراجع الإسلامية تقف بنا عند أواخر القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)، ولا نكاد نظفر بعد ذلك، خلال القرن التاسع الهجري، وهو بالنسبة لمملكة غرناطة، عصر الانحلال والسقوط النهائي، بأية مراجع إسلامية ذات شأن، وليس لدينا من تراث الرواية الإسلامية عن تلك المرحلة القائمة، من تاريخ دولة الإسلام في الأندلس سوى رواية صاحب "أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر" عن سقوط غرناطة، وما نقله إلينا المقري من شذور قليلة متفرقة في نفح الطيب. وفي أزهار الرياض عن تلك المرحلة الأخيرة من حياة غرناطة»(٥٣).

ويظهر من إشارة عنان أن الربع الأول من القرن التاسع الهجري لم يكن له حظ قيّم من التاريخ، ربما يكون ذلك لضياعه، أو لانشغال المؤرخين بضياع مملكتهم وبانحلالها وسقوطها النهائي.

وإذا كانت المصادر الإسلامية العربية ضنّت بتزويد التاريخ بتفاصيل تلك الحقبة المهمة للغاية، فإن المصادر المسيحية لم تنصف تلك الفترة أو تؤرخ لها تأريخًا حقيقيًا لمآرب في نفسها. «الأزمة والتشوش اللذين تحملت المملكة النصرية بهما ودفعاها إلى سقوطها على أيدي القشتاليين سنة ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م، وأن نقل أواخر

ملوك بني نصر أغلب الوثائق الموجودة التي نحتاج إليها كي تقوم بناء صياغة العصر الأخير لأسبانيا الإسلامية، فكل هذا سبب أن تكاد الأبحاث تنعدم في القرن الأندلسي التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، وتحاليله، ويندر ندرة خاصة الأبحاث التي تشير إلى السلطان أبي الحجاج يوسف الملقب بالناصر لدين الله»(٥٤).

إن هذه الندرة أو الانعدام بحسب تعبير بالاثيوس شاركت في التعمية على تاريخ تلك الحقبة الأندلسية، وأيًا ما كان السبب من نقل الكتب أو ضياعها، فإنه يتبقى لنا أمر مهم وهو المتمثل في ديوان ابن فركون الذي اكتشف مؤخرًا في بلاد المغرب العربي ليكون كشفًا قيمًا يزيح الستار عن أحداث تاريخية لم تذكر في غير هذا الديوان لتتأكد القيم التاريخية له.

وتتبدى أهمية ديوان ابن فركون في صورتها العامة في كونه يعتبر سجلاً أمينًا وافيًا لتلك الفترة من عمر الدولة النصرية، فقد لازم ابن فركون —كما سبقت الإشارة– مخدومه السلطان الناصر في غدواته وروحاته ولم يدع مناسبة أو حادثًا عامًا أو خاصًا إلا وكانت له فيه قصيدة، ومن هنا يأخذ ديوان ابن فركون أهميته التاريخية التي سنتعرض لها لتكشف عن المناسبات والتواريخ والأسماء والعلاقات والمعاهدات وإنجازات وكل ما اتصل بالملك الناصر من أحداث كبرت أم صغرت .

ويحتل شعر التهاني من الديوان مساحة كبيرة حيث اهتم ابن فركون اهتمامًا بالغًا بتقديم التهاني إلى مليكه في كل مناسبة ولقاسم قحطاني مقولة في ذلك.

ومن المناسب الآن إلقاء الضوء على نماذج من تهانيه تؤكد هذا ونتعرف من خلالها على أهم الأحداث التاريخية التي مرت بها مملكة غرناطة فترة حكم يوسف الثالث لها.

«وفي قصائد ابن فركون إشارات مهمة تزيد التاريخ وضوحًا وتفصيلاً، وتتدارك أحيانًا ما أهمله من حقائق ومعلومات دقيقة، وهو يؤكد القيمة التاريخية للقصيدة الشعرية، ويجعل وضعها في عداد الوثائق التاريخية المساعدة أمرًا غير قابل للاعتراض، بل قد توافر من الأسباب، ما يجعل القصيدة وثيقة أصيلة في موضوعها»(٥٥).

مقدمات التهاني:

من المهم الإشارة إلى مقدمات التهاني التي صدر بها ابن فركون لقصائده، وفيها يذكر تفصيلاً المناسبة والتاريخ «وتعتبر هذه المقدمات إضاءات تاريخية أزالت اللبس في الكثير من الأحيان عن الخلافات التي وقع فيها بعض المؤرخين ومن تلك المقدمات المهمة ما يشير إلى تفقده أحوال البلاد والعباد والجند، فيقول: «ومما صدر عني وقد احتل ركابه العلي بمالقة برسم عرض جندها في شعبان من عام أحد عشر وثماني مائة وأمر أيده الله بإراقة الخمور وتغيير المنكر وإذاعة أفعال البر»(٥٦).

ولا يخفى ما لهذه المقدمة من أهمية حيث خرجت مالقة على السلطان وكان منه أن أعادها حتى استتب الأمر فيها بعرض الجند واستقرار مجتمعها. كما تظهر شخصية الناصر حريصة على إقامة الدين الإسلامي وصبغ المجتمع بصبغته.

وفي مقدمة يهنئ فيها السلطان بعودته من تلك الوجهة "مالقة" بعد أن استقر له الأمر فيها، يقول: «وقلت أهنئه بالقدوم على حضرته العليّة من هذه الوجهة المباركة في آخر شعبان المذكور»(٥٧).

ومنها تأريخه لعودة بعض المناطق إلى سلطانه وإخضاع أهلها ومنها صخرة عناد وقصبتها، فيذكر مؤرخًا في تهنئته بهذه المناسبة هذا الحدث وذلك التاريخ «ولما دخل المسلمون من أهل رندة صخرة عناد أعادها الله واستأصلوا من وجدوا بها قتلاً وإسارًا إلا قليلاً منهم اعتصموا بقصبتها ورد البشير بذلك قلت أهنئ مقامه الكريم للحين وهي من المرتجلات في يوم الأربعاء الرابع لذي الحجة عام اثني عشر وثماني مائة»(٥٨).

وتكشف تلك المقدمات عن نجدته ونصرته لأهل المغرب في مقدمة تهنئته بمناسبة نزول أسطوله ساحل الغرب معينًا السعيد صاحب فاس «وقلت وقد وردت الأخبار بحلول أجفانه المؤيدة بساحل المغرب ونزول السلطان السعيد ببر العدوة بالفرسان والرماة في آخر رمضان عام ثلاث عشر»(٥٩).

ومن تلك المقدمات ما يشير إلى استعادته جبل الفتح محددًا بذكر اسم قائد جيشه وسنة الفتح والاستعادة «وقلت عند وصول البشير من السيد الأمير أبي الحسن

وصل الله عزه بدخوله جبل الفتح عصمة الله في يوم السبت السادس عشر لجمادى الأولى عام سبعة عشر وثماني مائة ودخوله يوم الجمعة قبله قصيدة نصها»[٦٠].

وفي بعض المقدمات التي يهنئ فيها السلطان ذكر لأسماء أعدائه المارقين وكيف استطاع السيطرة عليه ومحاصرته واستعادة المناطق الخارجة عليه «وقلت أهنئ مقامه الكريم أسماه الله بعيد الأضحى من عام ثلاثة عشر وثماني مائة، بالمحلة من ظاهر جبل الفتح عصمة الله عند محاصرته والأخذ بمخنقه برًا وبحرًا والتضييق على المحلة الغربية النازلة بإزائه مع الرئيس البائس المحكم فيه سيفه اليوسفي بعد ذلك وقد فرّ إليه بعض الغادرين المارقين مروق السهم عن الدين»[٦١].

ومن تلك المقدمات ما يشير إلى عقده لصلح أو إخضاعه لبعض الثورات الداخلية محددًا المكان والتاريخ «وأنشدت في هنائه أيده الله ونصره بعيد الأضحى من عام خمسة عشر وثماني مائة إثر الهرج الواقع بالحضرة من أهل ربض البيازين وسواهم ممن تبعهم وألممت فيه بذكر الصلح الذي رغب السلطان أبو سعيد من مولانا نصره الله في عقده بينه وبين السلطان السعيد على قسمة البلاد الغربية بينهما. وأجابه أعلى الله مقامه إلى ذلك»[٦٢].

ومنها مقدمة تهنئة يذكر فيها اسم عدوه ويهنئه بوفاته ويذكر أسماء المعاقل التي كان يسيطر عليها وعام الوفاة. يقول: «وفي آخر صفر من عام تسعة عشر وثمان مائة ورد الخبر على الحضرة بوفاة طاغية رغون الملقب بالإِفَنْت عمّ صاحب قشتالة ووصيه وهو المتغلب قبل على معقل انتقيرة والصخرة وغيرهما من حصون الغربية أعادها الله فقلت أهنئه رحمة الله عليه بذلك»[٦٣].

وتأتي مقدمة هناء ولي العهد بعد وفاة يوسف الثالث كاشفة لإشكالية شخص ولي العهد بعد السلطان يوسف الثالث. يقول ابن فركون في قصيدة مزج فيها بين التهنئة بولاية العهد ورثاء السلطان المتوفي ولي نعمته، يقول: «وأسرينا بتابوته تلك الليلة فوصلنا الحضرة ضحى يوم العيد، ولم يشعر أحد من أهل البلد، لاشتغالهم بصلاة العيد، حتى استقر الجميع بالحمراء، وعند ذلك شرعنا في بيعة ولي العهد أيده الله وموارة المولى المنعم رحمة الله ورضوانه عليه، وفي أول يوم أُجلس ولي عهده بقبة

مشورة حيث جرت عادة السلام قمت بين يديه منشدًا هذه القصيدة في هنائه بالْمُلْكِ ورثاء والده قدّس الله روحه وبرّد ضريحه»(٦٤).

وقد أشار محقق الديوان إلى ذلك بقوله: «هذا النص يحسم الخلاف الواقع بين المؤرخين حول من خلف يوسف الثالث في الْمُلْكِ أما التكتّم على وفاته فقد كان ضروريًا ليتم الاستعداد لبيعة ولده ولي عهده»(٦٥).

وفي مقدمة تهنئته عيدية لأضحى عام ستة عشر وثماني مئة يقول: «وأنشدت في عيد الأضحى من عام ستة عشر وثماني مئة بالمشور السعيد عن حمرائه العليّة وقد ورد على بابه الكريم جملة وافرة من أكابر بني مرين وسواهم من القبائل بعد الحادثة على السلطان السعيد لائذين بعزّ جنابه، متمسكين بأوثق أسبابه، فأولاهم أيده الله مواهب أنعمه وآواهم، ووفّر نُزلهم عند وفادتهم وكرّم مثواهم، فاطمأنت بهم الدار، وقرّ بحضرته القرار»(٦٦).

وتشير المقدمة إلى نهاية السعيد الذي أرسله إلى أبي سعيد سلطان فاس لمحاربته، لكنه قتل ولجأ من كان معه إلى غرناطة بعدما تسبب في خراب المغرب.

وبالنظر في مقدمات التهاني نلمح مقدمات كذلك للتهاني الخاصة بالإملاك والمواليد والهدايا وهذه المقدمات لا تقل أهمية عن مقدمات تهانيه في المناسبات الرسمية كالفتوح والانتصارات وتفقد أحوال البلاد وعرض الجند مما اختلطت بها في كثير من التهاني العيدية. ومن تلك المقدمات ما كشف عن صلات النسب بينه وبين قوّاد جيوشه، ومن مثل ذلك تقديمه «وأنشدت في إملاكه أيده الله ونصره ودخوله ببنت القائد الوجيه أبي السرور مفرج مولى نعمته الكريمة وقد استدعى وفود أهل البلاد النصرية لحضور هذه الوليمة بالرياض السعيد»(٦٧). وفي مثل هذه المقدمة إشارة إلى التقاليد المتبعة في حفلات الإملاك من الوفادة وتقديم التهاني والتباريك ومد الولائم للأضياف، وكذلك إشارة إلى مقر إقامته في الرياض السعيد ويعني بها غرناطة مقر ملكه ومدار سياسته.

وفي مقدمة تهنئته بوصول هدية يقول فيها: «وقلت أهنئ مقامه الكريم بالهدية المشتملة على الخيل المسوّمة وسوى ذلك من عجائب إفريقية الواصلة من قبل

السلطان بها ابي فارس عبد العزيز الحفصي»[٦٨]. ولا يخفى ما في المقدمة من إشارات تاريخية مهمة تدل على الصلات المنعقدة بينه وبين أبي فارس الحفصي والتي تكشف عن تحالفه معه ضد بني مرين بسبب إثارة الفتن، وهذا يستوجب تبادل الهدايا القيمة نحو الخيل المسوّمة وغير ذلك من عجائب ونفائس بلاد المغرب الأدنى.

وفي مقدمة تهنئة الشفاء من مرض يحدد تاريخ الشفاء وتقديم التهنئة ذاكرًا مكان الإقامة حتى البراء من المرض، يقول: «وقد قلت أهنئ مقامه الكريم بإبلاله من أَلَمٍ أَلَمَّ به وذلك في السادس عشر لصفر من عام أربعة عشر وثماني مائة وبمدينة مالقة المحروسة»[٦٩]. مما يشير كذلك إلى أن مالقة في ذلك التاريخ كانت قد أخضعها إلى أمره بعدثورات واضطرابات ومروق.

ومن مقدمات التهاني الخاصة يذكر فيها مناسبة التهنئة ومكانها وتاريخها، وهي تهنئة السلامة من الوقوع بعدما كبت به فرسه، يقول: «وكبابه رحمه الله فرس وركابه العلي مقيم بوجر من سفح جبل شلير يوم السبت السادس لجمادى الثانية عام تسعة عشر وثمان مائة فارتجلت للحين أهنئه بالسلامة»[٧٠].

على أية حال فقد كانت المناسبات عديدة لم يترك ابن فركون منها واحدة إلا ونظم فيها مقدمًا لها، لذلك نكتفي بما تم عرضه تفضيلاً للإيجاز.

وكما ظهر من العرض الفائت حرص ابن فركون على تلك المقدمات في كل قصيدة تهنئة، وكأنه كان يتشوف الأهمية التاريخية لها. ويؤكد نزار شاكر هذا المعنى بقوله: «بيد أننا لا يمكن أن نغفل أن من أبان عن هذا (المعطى الثمين) –فضلاً عن النص الشعري الخالد– تلك المقدمات أو (العناوين) التي سبقت عرض النص الوثائقي نفسه»[٧١].

يحق لنا الآن بعد هذا التقديم لتهاني ابن فركون أن نعمل النظر في قصائد التهاني ذاتها لنرى ما ضمنته من معان ومضامين وما اتسمت به من سمات تكشف في حقيقة أمرها عما ساد تلك الفترة من أحداث مهمة.

المبحث الثالث

مضامين شعر التهاني

- تهاني العيديات.
- تهاني متفرقة.

تهاني العيديات:

تتقدم عيديات ابن فركون سائر تهانيه قيمة تاريخية، وذلك لما تحمله من مضامين شعرية تمثل أهمية كبرى، حيث مراسم العيد تمثل جانبًا دينيًا ما من شأنه بث هيبة السلطان الدينية لما يحققه من إقامة أركان الدين وشعائره، كما تمثل جانب السياسية لما يكون فيها من تجديد البيعة للسلطان وعرض الجند ووصف الانتصارات مما يبعث في نفوس الرعية مشاعر الاستقرار والاطمئنان على بلادهم وأنفسهم. وتزخر العيديات بين هذين الجانبين بالعديد من المعاني التي يسجلها ابن فركون فيرسخ بها دعائم ملك سلطانه يوسف الثالث، ومن هذه المعاني التي ضمنتها عيديات ابن فركون أنه كيف يواجه السلطان الخطوب ويتغلب عليها وكيف يقوّض أركان أعدائه وأنه أقام الدين الحنيفي ثم يشير إلى انقضاء شهر رمضان وأن قدوم العيد قدوم لنصره على أعداء الدين ثم ينهي العيدية بالخضوع للسلطان والدعاء له بدوام الملك. تجلّت هذه المعاني في أول عيدية لعام أحد عشر وثماني مائة وفيها:

إمام يكف صروف الخطوب ويقضي الزمان بما قد قضى(٧٢)

ويقول:

فأعلى به الدين دين الهدى وكم حجة للعدى أدحضا

ويقول:

فيوسف شيد معنى العلى ويوسف مبنى العدا قوّضا

ويقول:

وضلت عداتك لما غدا بكف كسيف الهدى منتضى
فترجو كلل سلم أملاكها وتخشاك في الرّوع أسد العضى

ومنها:

وهنئت عيدًا أتى بالمنى ديون المعالي به تقتضى
وودّع شهر الصيام الذي إليك المودة قد أمحضا

إلى قوله:

و لكنه عائد عيده بمقتبل النصر لما انقضى

وفي ختام العيدية قوله:

فإني مملوكك المرتجى نداك المؤمل منك الرضا

أأخضع يومًا ومنى لدى سواك الوسائل لنتعرضا

مذم الزمان الذي لا يرى لأيام ملك كفيها نقضا

ومن عيدياته ما يصف فيه يوسف الثالث بالمناقب العلية ثم يهنئ بالعيد ويصف ما تتوالى فيه الخلائق لتقبيل يديه مهنئة، ومن ذلك قوله في عيدية تهنئة بأضحى عام أحد عشر وثماني مائة:

فلله يوم قد أرانا حقيقة من الطلعة الغراء صبحًا تبلَّجا

مددت لتقبيل الخلائقراحة يفوق نداها الزاخر المتموجا(٧٣)

ونجده يؤرخ لعودة أخيه الأمير أبي الحسن الذي أنفذه لغزوة شقوره وتقع في الحدود الشمالية لمملكة غرناطة من عيدية فطر عام اثني عشر وثماني مائة، ومنها:

ورفعت قدر أخيك تاليك الرضى قطب الرحى الأهدى أبي حسن علي

أتبعته من جند نصرك ما به أوهنت كيد الكافر المستحيل

فرعت ثنايا المعتدين كماته بعزائم تمضي مضاء المنصل(٧٤)

ومن ذلك تأريخه لتولي السلطان توجيه الجيوش إلى المغرب لمواجهة السلطان أبي سعيد عثمان الذي أقلق مضاجع السلطنة من الناحية المغربية وبات يمثل خطرًا بما كان يثيره من قلاقل ومحاولات للسيطرة على جبل الفتح وغيره من المناطق والقصبات، فيقول ابن فركون مهنئًا بعيد الفطر عام ثلاث عشروثماني مائة، وقد احتل ركابه العلى بمالقة ووجه السلطان السعيد منها إلى بلاد المغرب في السابع عشر لرمضان، يقول:

ولما رأيت الغرب قد فَلَّ غربه وأقفر من ربع الخلافة عامرُ

وقام وليّ الكافرين بعبئها فكم مسلم قد ذلّوا عتز كافر

تداركتها بابن الخلائف منعمًا وسَيْبُكَ مبذول وسيفك قاهر

وفيها يشير إلى استنصار بني مرين بالسلطان ورغبتهم في تولي السعيد أمور بلادهم بديلاً عن أبي سعيد عثمان، يقول ابن فركون:

إلا إنّ ملك الغرب لم يُلْفَ بعدها بشاكٍ و لكن للصنيعة شاكر

بعزك قد أضحى السعيد مملكا له النصر خِدْنٌ والنجاح موازر

وكانت نفوس الخلق ترتاح نحوه وللشوق ن،اهٍ في القلوب وآمر

وناد تمَرينٌ في أقاصي بلادها ألاسارعوا نحو المعالي وبادروا(٧٥)

ويمضي إلى تهنئة السلطان بالعيد، يقول:

فهنئته صنعًا جميلاً خطيره يرد الذي ولى العدى وهو صاغر

ثم يذكر رحيل شهرالصوم وقدوم العيد وتجديد العهد بمالقة التي أحلها ركابه العليّ، يقول:

ترحّلشهرالصوم أكرم ظاعن بما قمته من حق،هـ لك شاكر

و أقبل عيد الفطر أشرف قادم يوالي الدهر لا يبلى ولا هو داثر

حللت بمغناها وسعدك واضح وحزبك منصور وجندك ظافر(٧٦)

وهكذا يجمع بين الاستقرار وتثبيت أركان الدولة دينيًا وحربيًا. ويظهر المزج بين فرحة النصر وفرحة قدوم العيد.

ويعتبرابنفركونعيدياتهمرسممهممنمراسمالاحتفال بالعيدمنالناحية الدينية والسياسية. ومن مضامين عيدياته ما يشير إلى الوفادات على السلطان، ومن ذلك وفادة أكابر بني مرين يرجونه بعد حادثة السلطان السعيد وفشله في الانقلاب على أبي سعيد أخو يوسف الثالث ثم مقتل السعيد، يقول في ذلك:

وجاءت مَرينُ من أقاصي بلادها فكان لدى مولى الملوك حلولا

تَح،،لُّ مطاياها بها منجنابه منازل عزٍّ ليسيشقى نزيلها

ولله منهم بعد حادثة النوى أماثل قد أضحى لديك مثولها

فما لحمى الخلائف يوسف عديل ولا عنه يرام عدولها(٧٧)

ومن المضامين ما يحمل الإشارات التاريخية المهمة في تهاني ابن فركون ومنها إشاراته لعقود الصلح بين القبائل، وذلك ما جاء في عيدية فطر من عام ثمانية عشر وثماني مائة، يشير إلى القبائل المغربية الموالية لأخيه، وفيها يقول:

وقبائل ترجو عزائمك التي قادت ملائكة السماء جنودا

ما عارضت نظرًا جميلاً يقتضى حكمًا و لا رأيًا لديك سديدا

عدلوا عن النهج القويم و ضُلِّلوا لولا هداك وفارقوا التسديدا

إلى أن يقول:

فاصرف لها وجه العزيمة منعمًا وأزل ضغائن بينها وحُقودا

وأقم صَغَ الإسلام في الوطن الذي أضحى يطيع مقامك المحمودا

إلى قولك:

جنحتْ لِسَلْمِكَ أمّةٌ أَرْسَالُها أَمَّتْ جنابا بالعفاة مَرودا

سَلْمٌ أنامت من ظُباك نواظرًا أُجْهِدْنَ قبل وما عَرِفْنَ هُجودا(٧٨)

ولا تقتصر تهاني ابن فركون على ذكر عهود الصلح بين القبائل بل أيضًا مع ملوك النصارى في بعض الأحيان مما كان يؤدي إلى التمتع بالاستقرار لحين جمع العدة والتهيؤ مرة ثانية للجهاد، ومما ضمنت عيديات ابن فركون من الإشارات التاريخية إشارته إلى التحريض على الجهاد واستعادة سبتة، ومن ذلك ما جاء في العيدية نفسها، العيدية الثامنة عشرة:

ومنعت أندلسًا وقد رام العِدَى أن يوسعوا جمع العدى تبديدا

خاضوا البحار لها وعزمك دونها فثناهُمُ وحمى الفَلا و البيدا

قَصُرَتْ خُطاهم عن منال قُصورها والنصر قد مدّ الطوال الميدا

إلى قوله:

هذا عدو الدين حل بسبتة لينال شأوًا في الضلال بَعيدا
ألقى لديها رَحْلَهُ إذ لم يكن عن مورد الدين الحنيف مَذُودا
والآن لما أن دعتك لنصرها جعلت مقامك عُدَّةً وعديدا
فأخفت عباد الصليب بها وقد صلبت على ريب الحوادث عودا

إلى قوله:

ودعوت قاصية البلاد فأهطعت تلقى لدى الباب الكريم وفودا

ولم تقتصر الإشارات على المقدمات أو المضامين، لكن كذلك وردت في طرر المقاطع إشارات إلى ذكر رجوع العمرة البرطغالية عن جبل الفتح والبلاد الأندلسية ودخولها سبتة ثم التحريض على جهاد من بسبتة، وهذه إشارات محقق الديوان، يقول: «كتب في طرة المقطع الذي يبدأ من هذا البيت ما يلي: ذكر رجوع العمرة (أو العمارة) البرطقالية عن جبل الفتح والبلاد الأندلسية ودخولها سبتة أعادها الله»[٧٩].

وفي العيدية التاسعة عشرة إضافة إلى ذكر أبي سعيد وهو أخو السلطان يوسف والذي لم تذكره المصادر، نجد الإشارة إلى سبتة وما حل بها من فوضى وقدرة السلطان يوسف الثالث على إنقاذها. يقول في ذلك:

لكان بسبتة والعدى قد خلفوا منها الديار وعطّلوا إفناءها
لكأن بأرْبُع سبتة وجموعها فوفى وقد ملأ الفرار فضاءها[٨٠]

ثم يشير إلى مدن مغربية أخرى وكانت طوع مملكة غرناطة وحكم النصريين، ومن ذلك هذا وفاس ما يفرز بملكها ... إلا الذي ولّيته بيضاءها:

هذي مرين أنت وجهة قصدها لما رمت بخلافها خلفاءها
هذي مرين أنت وجهة قصدها لما دعت خلفاؤها خُلفاءها

وثنت عنان القول فيك فواصلت لِعُلى مقامك حمدها وثناءها(٨١)

ويظهر في الأبيات السابقة استنجاد أهل فاس وقبائل بني مرين بالسلطان يوسف الثالث، وإغاثته لهم وحربه العداة الضالين واستتباب الأمن والحكم بعد الغلبة والنصر عليهم.

ومن هذا أن السلطان يوسف امتدت سلطته ليضم بلاد المغرب والصلات القوية التي نشأت بينه وبين بني مرين بعد عداوة استطالت في كثير من الأحيان ثم عودتهم إلى طاعته والاستصراخ به وأنه كان ينفذ إخوته لتولي شؤون المغرب في مراكش وفاس وسبتة.

ونجد إشارات تاريخية أخرى مثل إغاثته جبل الفتح وإعادته وقصبته إلى الملك النصري، ومن ذلك ما أشار إليه في العيدية السابعة عشرة التي هنأ فيها ابن فركون سلطانه بعد عودة الركاب من الفتح، ومنها قوله:

لله أندلس فكم من عزمة لك مهّدت أقطارها وبلادها
ولطالما أَجهدتَ نفسًا آثرت في الله طوع المعلوات جهادها
وخطبت فتح العُدْوَتَيْنِ فلم تَدَعْ خطبًا يذود عن العيود رقادها
وطَرقْتَ مَنْزِلَ طارقٍ بكتائب أحلَلْت في أنجاده أنجادها
وعَدَت به الأيام بعد مِطَالِهَا فَوَفت لديك وأَنْجَزَتْ ميعادها

إلى قوله:

فأذلَّ عاصِيَهَا بِعزِّك بعدما أضحى رضاك مؤمِّنَا مُنْقادها
واحتلَّ منه الْمَعْقِلَ الأشِبَ الذي نالت برجعته النفوسُ مُرادها
جَبَلٌ سما فإذا بدت أبراجُه خِلْتَ البُروجَ بأُفْقِهِ أنْدادها
هذا ويَا للهِ حَضْرَتُكَ التي تُلْقِي لديكَ بها الملوكُ قيادَها(٨٢)

ويتضح من العرض السابق سيطرة السلطان يوسف الثالث على أطراف المملكة الغرناطية وبسطة النفوذ عليها وإعادة الْمُرَّاق منها، مما يشير إلى أن عهده

اتسم بكثرة الغزوات، والتهيؤ لها بعرض الجند والجهاد في كل المناطق التابعة للدولة الإسلامية في العهد الناصري على وقته، فقد ثبَّت دعائم دولته بتسيير الركاب والدعوة إلى الجهاد وإقامة المصالحات بين القبائل وعهد الهدن، مما استطاع به أن يديم عمر الدولة والعدو النصراني يحيط با من كل الجهات، غير أنه سلك سبل الغزو تارة وسبل السلم والصلح تارة أخرى ليس مع القبائل والملوك العرب لكنه سلك المسلك ذاته مع النصارى فحاربهم حينًا وهادنهم حينًا آخر، فيمثل بذلك شعر ابن فركون رافدًا مهمًا لعلاقات السلطان يوسف الثالث بالمملكة المغربية وبالممالك النصرانية في الأندلس وما يجاورها، تلك العلاقات التي ساسها بفكر الجهاد مرة والصلح مرة أخرى.

وبالانتقال إلى جانب آخر من المشاهد التي تحملها العيديات وتؤرخ لحكم السلطان يوسف الثالث في تهاني ابن فركون، ومما يتصلب العيديات وهي فيالمضامين التي نعتبرها من أساس سياسة السلطان، تلك هي التأكيد للسلطة الدينية من خلال التهنئة بالعيد وما تحمله من مضامين نحو إضافة الهالة الدينية للسلطان وذلك بإقامة الدين وأن قدوم العيد قدوم لنصره على أعداء الدين، ومن ثم وجوب الخضوع للسلطان والدعاء له بدوام الملك، والشاعر ابن فركون في ذلك يمتدح ولي النعم بالمناقب العلية ويصف هذا اليوم وتوالي الخلائق لتقبيل يديه مهنئة في مشهد إقرار بتجديد البيعة للسلطان الذي ما فتئ شاعرنا أن يمتدحه بنسبه الأنصارى –بني خزرج– الذين ناصروا الرسول –صلى الله عليه وسلم– وأن الخضوع للسلطان نصر للدين على أهل الكفر، ومن ذلك:

ومَدَدْتَ للتَّقبيل كفًا طالما بدأ المكارم جوده وأعادها(٨٣)

ومن ذلك:

هنيئًا فقد وافت إليك البشائر وعزّت لأنصار النبي عشائرُ

عَلَتْ بِكَ للدين الحنيف وأهلِه مراقبُ في أُفْقِ العُلى ومظاهر(٨٤)

ومن ذلك:

تقضى مناسبُه الشريفةُ أن بسوى المكارم والعُلى لم يكلف(٨٥)

وتتردد في هذه التهاني مكارم الممدوح وصفاته التي تتسق مع هذا النسب الشريف ليؤكد اتصاله بالشيم العريقة والمناقب الشريفة، ومن ذلك قوله بأضحى عام أحد عشر وثماني مائة:

هو اليوسفي العالِمُ العَلَمُ الذي ... عَوامِلُه شُهْبٌ من النقع في دجى
ألا عَدِّ عن ذكر القياصرة الأُلى ... لديهِ ودَعْ كِسرَى الملوكِ متوّجا
فهذا إمامٌ تابعٌ جَدَّه الذي ... غدا سيّدَ الأنصارِ أوسًا وخزرجًا
وهذا الذي مازالَ في الله سالكًا ... سبيلاً إلى النصر العزيز ومنهجا
شمائلُه تحكي الشمائل رقة ... وأمداحُه زَهْرَ الرياض تَأَرُّجا
رجونا به نيلَ المكارمِ والعُلا ... فلمَّا رأينا وَجْهَهُ صَدَقَ الرَّجَا
فمن عَزْمَةٍ تكفي العِدَى وتكُفُّها ... ومن جُودِ كَفٍّ لا تُخيِّبُ مَنْ رَجَا(٨٦)

وتأتي ألقاب الخلفاء العباسيين تكمل تلك الهالة من الهيبة والقدرة والعلم لتأكيد السلطة وعلو مقامها، ومن ذلك قوله في فطر عام اثني عشر وثماني مائة:

فلأنتَ منصورٌ وسيفُكَ قاهرٌ ... وحِماكَ مأمونٌ وقَدْرُكَ مُعْتلي
شِيَمٌ لأنصارِ النبيّ حَديثُها ... يَرْوِيه منكم آخِرٌ عَنْ أوَّلِ
ولأهلِ أندلسٍ بِكَ النَّصرُ الذي ... وَرَدوا به للفتحِ أَعْذبَ مَنْهَلِ(٨٧)

وفي القصيدة ذاتها تلمح كيف كان يقضي السلطان حياته بين إقامة الدولة وإقامة الدين:

مَلِكٌ يقسّمُ حَرْبه أو سَلْمه ... بين الكتائبِ والكتابِ الْمُنَزَلِ(٨٨)

ومما شاع في تهاني العيديات كذلك من معانٍ متبعة أن قدّم في عيديات الفطر بالصوم وفي عيديات الأضحى بالحج، فربط بين التهنئة بالعيد والمواسم الدينية البارزة لتأكيد إقامة السلطان للدين في أهم مناسبتين عند المسلمين، فمن ذلك قوله في عيدية الفطر من عام أحد عشر وثماني مائة:

وهُنِّئتَ عَبْدًا أتَى بالْمُنى ديونُ المعَالي به تُقتضَى
ودع شهر الصيام الذي إليك المودة قد أمحضا

ومن تهنئة عيدية أضحى عام سبعة عشر وثمانمائة يقول:

فيا سامعًا من وصفه كل معجب يروق ذوي الألباب فذًّا وتوأما
إذا أنت لم يقنعك في الشِّعر وصفه فخُذْ منه ما نتلوه في الذكر مُحْكَما
ورُجْعَى إلى ذكر الحجاز ومن به تلا محكم الآيات حيث تلوّما
ومن طاب ذكرًا حين حل بطيبة وسار إلى بطحاء مكة مُحرِما
وأضحى كما تبغى العلى متوسلاً بزورته في ربعها المتوسما
وإن حجيج الله عاد إلى منى وطاف ببيت الله سبعًا وأحرما
وما كان للقصد الحميد مخيّبًا فطوبى لمن أضحى لديه مخيما(٨٩)

وهكذا تتردد المعاني الدينية وما تشيعه من أجواء روحانية إيمانية من المودة والصفاء والتوسل.

لقدكانت تهاني العيديات تحمل قيمًا تاريخية لما ضمته من حوادث تشير إلى إنجازات يوسف الثالث وتثبيته أركان ملكه بتسيير جيوشه للغزو في الداخل للقضاء على المارقين أو في الخارج لفرض هيبته وسطوته أو باستقبال الوفود وعقد الصلح والهدنة مع القبائل العربية أو مع القشتاليين. ويشير إلى ذلك العبادي في قوله:

«كانت لغرناطة منذ قيامها علاقات مع جيرانها القشتاليين والمغاربة، ولم تنتظم هذه العلاقات بين الجيران، ولم تتخذ منذ قيامها شكلاً واحدًا؛ بل اضطربت بين حرب وسلم وصلح وهدنة، ولم تستقر أمورها على حال واحدة، ولم تخف مطامع الدولتين بمملكة غرناطة، وظلتا متحينتين الفرصة للنيل منها والإيقاع بها»(٩٠).

وكما سيظهر فقد كان في هذه العيديات من مراسم عرض الجند وما تظاهروا به من السلاح وتجديد البيعة وتقبيل يد السلطان وكيف أن رمضان أرضاه ما قدمه

السلطان من عبادة وطاعات، وكيف فرض الجهاد .. وكان ذلك في قصائد تهنئة قد تطول أو تقصر .. يقدم لها بمقدمة تقليدية أو يشرع فيها إلى التهنئة مباشرة دون مقدمات، وفي كل ترددت معاني الصلاح والتقوى وكل ما يحمد من الصفات الموروثة منالنسب المعتلى، واقتران بكبار أسماء الخلفاء العباسيين.

وعن آخر التهاني التي توجه بها ابن فركون إلى يوسف الثالث فلم يشأ القدر أن تلقى بين يديه لوفاته، ويشرع ابن فركون في تقديم التهنئة بالعيد وولاية العهد لابن يوسف الثالث وفيها يجمع بين التهنئة لولي العهد ورثاء والده، وهي ما استحدثه ابن فركون في شعر التهاني، وتعتبر هذه القصيدة ذات قيمة تاريخية كما تقدم الإلماح إلى ذلك عند الحديث عن مقدمات التهاني ونؤثر عدم الإعادة تجنبًا للإطالة. وتعتبر هذه التهنئة آخر ما جاء من شعر التهاني في ديوان ابن فركون والتي مطلعها:

أَخَطْبٌ هو بالنيِّرات من العُلا وبُشرى بهاوَجْهُ الزمانِ تهلَّلا
قَضى نحبَه مَوْلَى الملوكِ وأعملَتْ رَكائِبُه حتى المعاد ترحلا
وفاز ابنُه الأرحى وحافِظُ عهده بما حازه من ملك آبائِه الأُلى(٩١)

تهاني متفرقة:

وإذا كانت تهاني العيديات في ديوان ابن فركون تتجلى أهميتها مما جاء فيها من إشارات تاريخية وثّقت لفترة حكم السلطان يوسف الثالث، فإن تهانيه في سائر الأغراض الأخرى سواء الرسمية أو غيرها من المناسبات الخاصة بالإملاك وميلاد وإعذار أبنائه أو تلقي الهدايا، إنها لم تكن أقل أهمية من سابقتها حيث تضم فيما تضم أحداثًا وأسماءً مما يحمل دلالات قيِّمة على شخصية السلطان يوسف الثالث وأحوال الدولة النصرية على عهده وسياساته الداخلية والخارجية فنستطيع بها رسم صورة واضحة المعالم عن تلك الحقبة من عمر الدولة الأندلسية فترة الحكم النصري.

ومن هذه التهاني ما يأتي بمناسبة دخول ركابه المدن أو العودة منها، ويكون ذلك لأسباب ومنها: تأديب المارقين وبسط السطوة، تفقد الأحوال وإقامة الدين، أو

التنزه والراحة. ومنها ما يشير إلى رسم عرض الجند في مالقة وإراقة الخمور وتغيير المنكر، فنجده يقول في هذا:

ووافت إلى الْمَيْزِ السَّعيدِ وفودُها فَراقَتْ على تلك البِطاح جموعُها

إلى أن يقول:

أَسَلْتَ دَمَ العُنْقودِ في الله مُظْهِرًا لأفعالِ بِرٍّ في الوجودِ تُذيعُها(٩٢)

ومنها ما يحدد مقر الحكم وموطن تسيير أمور الدولة، ومن ذلك ما جاء في تهنئة السلطان بالقدوم على الحضرة العلية من الوجهة المباركة، فيقول ابن فركون:

لِمالقةٍ حقَّ التشرُّفِ إذْ لها بناصِرِ دينِ الله فضلُ التقدُّمِ
ومُحْدَثُها جاد الحيا مَعْهَدًا له وعهدًا كريمًا فيه غَيْرُ مُذَمَّمِ
فَلِلَّهِ مِنْهُ مَنْزِل جاء أفْقُهُ ببدرٍ من الوجهِ الكريمِ مُتَمَّمِ
ولكن من شأنِ البدورِ انتقالُها وما الكَرُّ إلا للجياد الْمُطَهَّمِ
وغرناطةٌ لله منها مَعَاهِدٌ تُعِيرُ الخلّى القلْبِ وَجْدَ الْمُتَيَّمِ
وغرناطةٌ دارُ الخِلافَةِ لم تزلْ مَجالاً لأفراسٍ الخَميسِ العَرَمْرَمِ
لقدْ حَلَّ بالحمراءِ هالةَ مُلْكِهِ ولاحَ بها بَدْرًا يُحَفُّ بأنجُمِ(٩٣)

يفهم من الأبيات السابقة تحول دار الملك من مدينة مالقة إلى غرناطة.

ومن ذلك التهنئة بعودته من التنزُّه في قرية واد إلى غرناطة دار الخلافة، وفي ذلك يقول:

بوَادٍ حَلّ مولانا فعمّت ركائِبُه الغوائرُ والنِّجادَا

إلى قوله:

وقد أوحشْتَها حمراءَ مُلْكٍ فأبدته خلوصًا واعتقادا
كأن الرُّوحَ قد عادتْ لجسمٍ غداةَ احتلَّها المولَى وعادا(٩٤)

وفي تهنئة بغلبة ركابه العلية على إفنت الروم فرناندو صاحب أنتقيرة وهي أول غزوة بعد تولي الملك وقد سيرها في عام اثني عشر وثماني مائة، وتشير الأبيات إلى ذلك في قوله:

أما هذه بكر الفتوح التي بها أتى الدهر يدني العز منك بِعادَهُ[٩٥]

وكان فرناندو قد استولى على صخرة عناد وهي من أحواز رندة وعاد إلى أرغون بعدما ترك فيها ذخره وعتاده وظل الاستيلاء النصراني لها إلى أن قام السلطان يوسف الثالث بأعباء الخلافة فسير لها جموع المسلمين فاستأصلوا من وجدوا بها من النصارى قتلاً وإسارًا، إلا القليل ممن استعصم بقصبتها، وفي ذلك يهنئ ابن فركون مليكه قائلاً:

وسالَ نجيعُ الكفْرِ فوقَ بطاحِها فلمْ يوردِ العذبَ الزُّلالَ وِرَادَهُ
وعادتْ جموعُ المسلمين برَبْعِها تُفَرِّقُ جَمْعَ المعتدِي واحتشادَهُ
أذلَ بها الله الصليبَ وحزبَه وبالناصرِ المولَى أعزَّ عبادَهُ
فكان ولي الكفر يُبدي تَجلُّدًا إلى أَنْ أراه حربه وجلادَهُ
وناصرُ دين الله في الله مُظهرٌ عَلى اللهِ في كل الأمور اعتمادَهُ
وإن إفَنْتَ الروم يجهَدُ كُلَّما أراه المقامُ اليوسفيُّ جهادَهُ
وكان ولي الشركِ وافَى مُطاوِعًا هَوًى ساقه نحو الهوان وقادَهُ
ففازَ بها طَوْعًا وحَلّ بأفْقِهَا وألقَى لديْها ذُخْرَهُ وعتَادَهُ
وَسَار إلى أوطانِهِ وهو ظافرٌ لها لا إلى الأخرى يُرَجِّي مَعَادَهُ

إلى أن يقول:

إلى أن أتى مَوْلَى الخلائِفِ يُوسُفٌ فَجَدّ وأبدَى عزمَهُ و أعادَهُ
وقام بأعباء الخلافةِ مُظْهِرًا فَجَدّ وأبدى عزمَهُ وأعادَهُ
فيا ناصرَ الإسلامِ والْمُلْكَ الذي أرانا بأشتاتِ الكمالِ انْفِرَادَهُ
هنيئًا به صُنعًا جميلاً لديك قدْ أجالَ به النصرُ العزيزُ جوادَهُ[٩٦]

وتمثل التهنئة السابقة صورة ابتدأها يوسف الثالث حكمه جهادًا ومحاربة للنصارى ممن استولوا على المدن الأندلسية.. ولكن ثمة مهادنات ومصالحات عقدت معهم فيما بعد، وهذه سياسة يوسف الثالث التي سارت عليها الدولة فترة حكمه ما بين الحرب والسلم.

وكما أنفذ الغزوات لاسترداد المدن التي سقطت في أيدي النصارى، فقد أنفذها كذلك لاسترداد ما كان نهبًا بين المرينيين والنصارى، ومنها جبل الفتح الذي تم الاستيلاء عليه واسترداده أكثر من مرة، وكان مثار قلق مستمر، وكان يوسف الثالث سيَّر جيشه بقيادة أخيه السيد الأمير أبي الحسن فدخل جبل الفتح واستعاده في عام سبعة عشر وثماني مائة، وذلك في قصيدة تهنئة مطلعها:

تجلى صباحُ الفتحِ من جبلِ الفتحِ فهُنِّئتها بُشرَى تَجِلُّ عن الشَّرْحِ(٩٧)

ومنها ما يشير إلى استيلاء النصارى عليه، يقول:

فلولاه كانت للعِدَى فيك أَسْرَةٌ تروحُ إلى قِسٍّ وتغدو إلى فِصْحِ
تجلّى معزُ الدولة الأكرم الرِضَى بمرقبكِ المشهور من جانب السّفْحِ
لك الدولةُ العُليا عليٌّ مُعِزُّها بهدِّ الذي أَعلَتْ يدُ البَغي من صَرْحِ

وفي إشارة لابن فركون إلى دعوة يوسف الثالث لصاحب جبل الفتح إلى الصلح والسلم ورفضه وبغيه وإلى أن هذا الغزوة لم تكن إلا بعد ذلك ممايشير إلى أن السلطان يوسف الثالث كان ينحو منحى السلم أولاً، يقول ابن فركون:

لقد طرقتْهم في منازل طارق كتائبُ لا تُنْجي ولكنها تُنْحي
فألقوا يدَ التسليم طوعًا ولم يكنْ لينقادَ باغِيَهم إلى السَّلْمِ والصُّلْحِ
وجادوا بما ضنُّوا بِهِ ولطَالما تعدَّوا بما اعْتادوه من عَادَةِ الشُّحّ(٩٨)

غير أن يوسف الثالث لم يكن ليغالي في القتل فإن من عاداته الصفح والعفو إذا أذعن عدوه وتاب ورجع، يقول في ذلك من القصيدة نفسها مشيرًا إلى عفو السلطان عن أهل جبل الفتح:

فللهِ منها حين تابوا وأصلحوا صفاحٌ ثنتها عنهُمُ عادةُ الصّفْحِ

فما شُرعت سمرٌ ترى الطعنَ شِرْعةً ولا أُعملتْ بيضٌ تُوكّل بالمَسْحِ[٩٩]

هكذا ساس يوسف الثالث مملكته ورعاياه، وهكذاكانيتعامل مع أعدائه، فيما يذهب إليه سراب اليازحي، «وذلك بمحاربة المغاربة الطامعين بغرناطة، ومصالحة القشتاليين في أغلب الأحيان لدرء خطرهم عن المملكة، فبهذه السياسة الحذقة، استطاع أن يطيل عمر مملكته، المهددة بالسقوط والانهيار»[١٠٠].

وكان يوسف الثالث قد أجاز جيوشه من قبل في عام ثلاث عشر وثماني مائة جين أخرج السعيد المغربي من سجنه وجهزه بالعدة والعتاد لإخضاع المارقين من أهل الجبل الذين شقوا عصا الطاعة على النصريين ودانوا للمرينيين، يؤرخ ابن فركون لهذا الحديث في تهنئة بمناسبة إخضاع أهل جبل الفتح ودخولهم تحت سيطرته يقول في مطلعها:

هُنئت يا مولى الورى مَقْدِمًا اطلعتَ للسّعدبهأنْجُمَا
حَلَلْتَ من مالقة منزلاً زاحم في العلياء شهب السَّما[١٠١]

إلى أن يقول:

ما جبل الفتح ومَنْ أهلُه إذ أصبحوا قد كفروا الأنْعُما
كأن بهم والرَّدْعُ في أرضهم يأبى لشمل الأمن أن ينظما
كأن بهم قد عاد مرتابهم مغرىً بما أوليته مُغْرَما [١٠٢]

وفي هناء بعقيقة بكر أولاده إشارة إلى إرسال النصارى الوفود تلو الأخرى طلبًا للصلح فيلبي السلطان يوسف ويعقد المهادنات، ومطلع القصيدة:

قِفْ بالرَّكائب ساعةً واستوقفِ تحظَ الرِّكابُ ضحى بأشرفَ موقفِ[١٠٣]

وفيها يشير إلى المعنى السابق، يقول:

تأتي وفودُ الرومِ تخطبُ سَلْمَهُ فيكُفُّ كفَّ القادر المتعفّفِ
ووليهم يخشى فيردفِ رُسْلَهُ إرسالَ جيشٍ بالملائك مُرْدَفِ
أَعِدِ الجوابَ بها على ظمأ لها تَنْقَعْ جَوَى المتشوقِ المتشوّفِ [١٠٤]

وفي هنائه بولادة أصغر ولديه لوقتها الأمير أبي الحسن في عام أربعة عشر وثماني مائة وصله الخبر والسلطان في مالقة، وأتته البشرى بانتصار جيشه في إحدى الغزوات بقيادة المسعود وقبول الروم بالسلم، والمهم في هذه الهناءة ذكر المسعود الذيسكتت مصادر التاريخ عن ذكره، وهوابن السعيدالذي أخرجه السلطانمن محبسه وجهزه بالعدة وسيَّره أميرًا على المغرب، ويشير ابن شريفة إلى ذلك في قوله:

«المسعود ولد "السعيد" ... ويفهم من كلام الشاعر أن المسعود بعد نهاية والده الشنيعة أصبح على رأس الجماعة الذين يعملون بأمر غرناطة. أما المصادر التاريخية فإنها لا تتحدث عنه ولا عن أخيه عامر»[١٠٥].

بشرى أتتك من المسعود قائلة — هذي الصفاح دم الأعداء قد سفحت
فمن مطالع أنوار بها اتضحت — ومن ميادين آمال بها انفسحت
وقبل والده الأرضي وهبت له — ما لا تجود به نفس ولا سمحت
لكن ضيع بعض الحزم حين أرى — ميلاً إلى فئة غشّت وما نصحت [١٠٦]

وأيا ما كان أمر السعيد وتخريبه المغرب لسوء سياسته فقد لقى نهاية بشعة فإن ولده لقى من السلطان الثقة نفسها بأن جهزه بجهازه وسيره لملاقاة الروم.

ومن الإشارات التاريخية ما سجله ابن فركون في تهنئة يوسف الثالث بفتح المدن المغربية ومنها فاس وتازة وطنجة ليستتب له السلطان ويضمن عدم الخروج على حكمه، مما يثير الشجب حول مملكته، يقول ابن فركون بحلول أجفان السلطان ساحل المغرب ونزول السلطان السعيد ببر العدوة بالفرسان والرماة عام ثلاث عشر في قصيدة مطلعها:

أناصر دين الله هنئته صنعا — بشائره تهديك ما يملأ السمعا[١٠٧]

وفيها إشارة إلى اسم المدينة ورجوعها إلى طاعته، يقول:

وكم من يدٍ بيضاءَ طوحتَها فتًى — إلى مَنْزِلِ البيضاءِ قد أعملَ الرُّجْعَى
رمَى دارَه البيضاءَ أخذًا بثأرِهِ — بما قدْ رمَى سيفُ ذي يزن صُنْعَا[١٠٨]

«الفتى يقصد به "السعيد" المذكور، والبيضاء هي مدينة المرينيين في فاس»[١٠٩].

ومن ذلك تهنئة بفتح مدينة طنجة، ويذكرها ابن فركون بقوله: «ومن المرتجلات في مثل ذلك قولي وقد عادت الأجفان المنصورة من فتح طنجة وحصول ولد السلطان السعيد في قصبتها وذلك عشي السابع عشر لذي القعدة عام ثلاثة عشر المذكور»[١١٠].

ومطلع الهناءة:

ناصرَ الدين خُذْ إليك بِشَاره قد كَسَتْها الفتوحُ أبدعَ شارَهْ
تجتلي في البلاد غربًا وشرقًا فتباهى الكواكبَ السَّيارهْ
فتهنّأْ صُنْعًا جميلاً و فتحًا يحتلي كلُّ مِسْمَعٍ أخْبَارَهْ[١١١]

ويفهم منها تسييره الركائب والأجفان لتثبيت أركان الدولة شرقًا وغربًا. وتمدنا القصائد بأسماء قوّاده الذين قادوا تلك الفتوحات وأسماء المدن التي تم فتحها وإخضاعها لسلطانه.

ومن القصيدة ذاتها يقول ابن فركون:

هذه فاسٌ الجديد تشكَّتْ فأنلتَ السعيدَ منها اخْتِيارَهْ
وابنُهُ عامرٌ من الريف يُمْسي عامِرًا ربعَهُ المنيعَ ودارَهْ[١١٢]

إلى قوله:

وأتتْكَ الأجفانُ منها بِبُشرَى كل وَجْهٍ يُبْدي لها استبشارَهْ[١١٣]

ويذكر ابن فركون في هذه الهناءة خروج الطريفي عن طاعة السلطان وكيف أنه أعمل الظلم في أهل فاس، وكان نصرانيًا خدم بني مرين.

يقول ابن فركون في ذلك:

والطّريفي كان أصلاً لهذا الـ قصدِ لا نالَ مَا ارتَضَى واخْتارَهْ
وهل الغُصْنُ حين يُجْتَثُّ منهُ أصْلُه تجتني يَدٌ إثمارَهُ

أخذَ اللهُ منه خَبًّا كفور أ من الله كان يُرْجُو فرارهْ
كم شَكا الثَّغْرُ ظُلْمَهُ عندما قد أوْرث الكفَر أرضَهُ وديَارهْ
أصبَح البَغْيُ شاهرًا منه سَيْفًا رَيْثَما فلَّت الْخُطوبُ غِرارَهْ
لا يخيبُ السعيدُ إذ بابْنِ نصْرٍ ناصِرِ الدّين قدْ رأيْنا انتِصارَهْ(١١٤)

ولا تغيب الهدايا عن هناءات ابن فركون لسلطانه يوسف الثالث ونهتم بها في هذا المعرض استكمالاً لصلات يوسف الثالث بالمملكة المغربية، ومن ذلك هناء بوصول هدية خيول من السلطان أبي فارس الحفصي وكان بينه بين يوسف الثالث تحالف على بني مرين، وهذه الخيول كما ذكر مقدم الديوان «ويبدو أن الخيل التي زعم الشاعر أنها ستغير على الروم وجهت في الغالب مع المسمى بالسعيد لإثارة الفتن في المغرب، فقد ذكر ابن حجر في إنباء الغمر أن أبا فارس المذكور كاتب ابن الأحمر بأن يفرج عن "السعيد" ويوجهه إلى المغرب لمحاربة مملكة أبي سعيد عثمان. إنباء الغمر ٦ : ٢٣٧»(١١٥).

يقول ابن فركون مهنئًا بالهدية:

هذا وملكُك في هدية تونس لك يومُها في العزّ يُنسي أمَّهَا
هي دولةٌ حفصيةٌ بك حقَّقتْ مظنونَها فيما رجتْه وحدسَهَا
شادتْ معالمَ قد أقمتَ علَى الرضَى وعلى الموالات الجميلةِ أسَّها
لولا انتسابُ خيولِهَا نُسبتْ إلى هُوجِ الرياحِ ولم تخالفْ جِنْسَها
تختالُ زَهْوًا في أعنَّةِ سَيْرِها مِثْلَ النّدامَى قد أدارتْ كأسَها
لتحِلّ حضرةَ ناصرةِ الدينِ الذي تُجلَى عُلاه اللهُ شرَّفَ قُدْسَها(١١٦)

ورب هناءة يجمع فيها ابن فركون أكثر من حدث يستحق التهنئة، ونجد ذلك في قصيدة تهنئة بغلبة السلطان يوسف الثالث على عدوه الرئيس البائس، وميلاد أحد أبنائه، وشفائه من مرض ألم به. وتعتبر القصيدة ذات قيمة تاريخية لكونها تسجل

هذه الأحداث في حياة السلطان، وقداعتنى بها ابن فركون حيث إنها أول تهنئة يقدمها لمليكه بعد أن ولاة كتابة سره والتى مطلعها:

هَناءٌ كأزهارِ الرُّبَى مُتَحَمَّلُ وبُشرَى كأنوارِ الضُّحَى تَتهلَّلُ(١١٧)

ويذكر فيها السلطان أبي سعيد عثمان الذي حرب المغرب وأسماء الرئيس البائس(١١٨)، والذي يقول حسين مؤنس في تاريخ توليه لمشيخة الغزاة «عقب انتصار المسملين على النصارى في موقعة الصخرة، استقر الاتفاق بين سلطان بين نصر وسلطان المرينيين على أن تقام في أراضي غرناطة قوة دائمة من المقاتلين المرينيين للاشتراك في الجهاد، وفي سبيل ذلك تنازلت مملكة -غرناطة- لأولئك المجاهدين المرينيين الذين سموا بالغزاة وكانت رياستهم تسمى مشيخة الغزاة، تنازلت عن الجزيرة الخضراء ومالقة وبعض مراكز أخرى لكي تكون معابر ومراكز لهم في الأندلس لكي يستطيعوا مواصلة عملهم الديني الكبير، وكان أول شيخ للغزاة، هو عبد الله أبو العلاء المريني، وعندما توفى ذلك الرجل خلفه أبو سعيد عثمان بن أبي العلاء، وفي أيامه أصبحت مشيخة الغزاة قوة لها أهميتها في مملكة غرناطة، وتدخل شيخ الغزاة في الأمور الداخلية للمملكة وأيد بعض منافسي السلطان، ومن ناحية أخرى نجد أن السلطان النصري يحاول من جهته التدبير على مشيخة الغزاة، وربما تحالف مع القوات النصرانية عليهم، والحقيقة أن بني مرين أصبحت لهم، كما ذكرنا، مصالح خاصة في الأندلس ودخلوا في تنافس على مصير مضيق جبل طارق مع مملكة غرناطة، ومع مملكة قشتالية وليون ومملكة أرغون والجمهوريات الإيطالية، وكان هذا الاختلاف في المصالح بين المسلمين من أشد الأخطار التي تهددت مملكة غرناطة وأضعفت قواها(١١٩).

فقد تمكن يوسف الثالث من أبي سعيد حين أرسل إليه "السعيد" ليدخل فاس ويأتي البائس يرسف في ثياب ذله، يقول ابن فركون في ذلك:

تواضَعَ فاستعلَى بصدقِ يقينِهِ وعَزَّ فذل الماكرُ الْمُتَحَيِّلُ
أتى وثيابُ الهُونِ تعلو قيودَهُ فيرسفُ طوعَ الذُّلِ فيها ويَرْحل
وجاء وقدْ حفَّتْ به الشيعةُ التي لها من ذميمِ الغدرِ ماليس يُجهل
(١٢٠)

ثم يذكر "السعيد" وعودته إلى حصار فاس، بقوله:

وقد عزّ مَنْ وليتَهُ الملكَ مُنْعِمًا وأضحَى الذي ناواكَ وهو مُذَلَّلُ
حُلا المُلك جَلْيّ منه هذا مطوّقٌ كما شاءت النُّعْمَى وذاك مُعطّل (١٢١)

وتأتي الأبيات تصف حال المارقين وكيف أعادهم سيف السلطان أذلة بكفرهم، ثم ينتقل ابن فركون إلى تهنئة السلطان بالشفاء من المرض، يقول:

وبُشراك يا مولَى الملوكِ براحةٍ تُتمّم ما شاء الهُدَى وتُكمّلُ
فلو أَنْصفَ الخُدّامُ أضحتْ نفوسُهم وأرواحُهم طوعَ البشائر تُبذلُ

ثم هو يهنئه بميلاد ابن له، وفيما يظهر من الأبيات أن هذا هو الولد الثاني للسلطان، يقول:

ومن قبل هنأنا عُلاكَ بوافدٍ مَخائلُه يقضِي بها المتأملُ
مُحيّاه وضّاحُ الأسِرَّةِ نيّرٌ ترى الشُّهْبَ تستهدي سَناه وتَسألُ
تلا صِفْوَةُ الأرضَ وإن كليهما لها رشيدٌ مُهتدٍ متوكِّلُ(١٢٢)

وبالإمكان بعد هذا العرض لتهاني ابن فركون الرسمية وغير الرسمية أن نصل إلى تكوين صورة لمواقف ابن فركون المؤيدة لمليكه والتى لا نستبعد أن يوسف الثالث أمره باتخاذها والنظم فيها كما كان يأمره بنظم أبيات في شتى المناسبات، ولا نستطيع القول إنه كان على قدر من القناعة بها أكثر من كونها استجابة لمطالب السلطان، ولو أنه أعمل النظر فيما ذهب إليه لما أوقع نفسه في هذه المتناقضات السياسية والتي تدفعنا إلى مناصرة رأي ابن شريفة مع عدم استبعاد الولاء للمملكة المغربية، فرب دافع وطني ذهب به إلى الشعور بإجحاف ابن فركون ومليكه وظلمه للمملكة المغربية التي كما عبر عنها في معرض حديثه عن مضامين الديوان، يقول إنها «تكشف النقاب عن محنة دولة مجيدة هي دولة بني مرين التي قدّمت الكثير لأهل الجزيرة اليتيمة، وضحت بالغالي والنفيس، في سبيل نصرة الإسلام بالفردوس المفقود، فلم تلق إلا نكران الجميل، وجحود الصنيعة، وحبك الدسائس والمؤامرات»(١٢٣).

وقد يكون في كلام ابن شريفة جانبًا من الصحة غير أننا لا نطلقه على عموم مواقف يوسف الثالث من المغرب وأهلها، قد تكون جاءت لمواجهة بعض

التصرفات التي توقع الدولة النصرية في الحرج أو تؤلب عليها العداوة أو تقلل من قدرتها على مواجهة العدو النصراني الذي كان يتحين جميع الفرص للانقضاض على مملكة غرناطة حيث لم يبق سواها شوكة في حلق القشتاليين.

وهناك بعض الوقفات لا يمكننا تجاوزها في التهاني الرسمية الخاصة بمواقف ابن فركون من صلح ومهادنة يوسف الثالث القشتاليين، وما يكون مثلها من هُدَنْ بين بني مرين في المغرب. فأغلب الظن أن هذه المواقف عكست بعض المتناقضات السياسية التي ربما يكون لها تخريج عند السلطان يوسف الثالث وكاتب سره ابن فركون، ولكي ندقق النظر في ذلك نستعرض شيئًا من نظمه نتفهم مضمونه والإشارات التي يحملها،ومن ذلك ما قصد به أبا سعيد عثمان وعقد السَّلْمَ مع فرنادو الأول ملك أرغون بقوله:

وهذا وَلِيّ الكفرِ أخفقَ سعيُهُ وخابَ وأعلامُ الجهادِ خَوافِقُ
وأحكَم عقدَ السَّلْم يُرضِي بها العِدَى فحلّت عهودٌ عندها ومواثِقُ
لئن غَدا بالسوء يبسُطُ كَفّه ليقبض بسْطَ الرزْقِ واللهُ رازقُ
صلاتُ الندَى لا تُرتجَي منه إذ له عوائدُ عن قَصْدِ النجاحِ عوائقُ
ولما تَدلّى من مهاوى غرورِهِ وضلَّله داجٍ من الغدْرِ غاسقُ
خطبتَ بلاد العدوتين فأَهطعتْ ومن قَبْلُ ما صَدّت خطوبٌ طوارقُ (١٢٤)

في حين أن ابن فركون يدعو مليكه إلى عقد الصلح مع عدو الإسلام في مواضع أخرى من مثل قوله ينصح السلطان بقبول الهدنة المعروضة عليه من قبل الروم:

تأتي وفودُ الرومِ تَخْطُبُ سَلْمَهُ فيكفُّ كفَّ القادرِ المتعفّفِ
ووليُّهم يَخشَى – فيردفُ رَسْلَهُ– إرسالَ جيشٍ بالملائكِ مردِفِ
أَعِرِ الجوابَ بها على ظمأٍ لها تَنقع جوَى المتشوِّقِ المتشوِّفِ
واجنحْ إليها مُنْعِمًا متفضلاً لازِلْتَ أكرم واهبٍ متعطفِ (١٢٥)

وهنا يقف ابن شريفة مقدّم الديوان ليضع علامة تعجب من موقف ابن فركون من استقبال الوفود النصرانية، فيقول: «وهذا عجيب، فعندما يستقبل السلطان

المريني سفراء فرناندو الأول يكون وليًا للكافرين، وعندما يستقبلهم السلطان النصري، ويعقد معهم روابط الهدنة والصداقة لا يكون كذلك، وهذا هو التناقض الواضح والنفاق الفاضح»(١٢٦).

وإلى ذلك ألمح أنور زناتى في قوله: «وقد تضافرت عدة عوامل أدت إلى تثبيت حكم بني نصر في غرناطة مما ساعد في وجود قوة إسلامية كبيرة هناك وأيضًا معاونة بني مرين في المغرب لبني الأحمر في صراعهم ضد النصارى في المستنصر وكانت علاقته مع بني مرين بالمغرب تتناوب بين الود والوحشة، وكان الإسبان يستغلون فترات الجفاء ليغيروا على المواقع الإسلامية»(١٢٧).

ولاتخفي ما تحمله الأبيات من معان ، فيوسف الثالث لم يسع إلى الهدنة بل عرضت عليه مرارًا وحين قبلها فأغلب الظن أنه قبلها كرمًا وتعطفًا بعد أن ردّها مرات كثيرة.

وفي أغلب ما استعرضناه من أبيات اختلفت مناسباتها، فإننا لم نجد يوسف الثالث، إلا وقد كرّ مرارًا على أعداء الدين وانتهج حربهم دفاعًا عن الإسلام فقد كان يرى أن هذا واجب عليه حُمِّل مسئوليته فالجهاد في سبيل نصرة الدين إرث عن نسبه الخزرجي. سواء في ذلك قيامه بالغزوات في داخل الأندلس ضد النصارى المتسللين أو المغاربة الذين حاولوا أكثر من مرة تقليب أهل الأندلس عليه لمحاولته بسط نفوذه على المغرب ليضمن استقرار مملكة غرناطة آخر الممالك الإسلامية الأندلسية، ويشير أنور زناتي إلى أن تلك العلاقة كانت تتناوب بين الود والوحشة، إذ يقول: «وأغلب الظن أن يوسف الثالث حتى في فترات الصلح والمهادنة مع النصارى فما كان يفعل ذلك إلا استجماعًا للقوة ثم التصدي أو الانقضاض مرة ثانية، وقد استقر في نفسه عداوته لبلاط إشبيلية وإن كان عهده كما يقول عنان: «ولم تشهد غرناطة من قبل عهدًا كعهد يوسف ساد فيه الوئام بين الأمتين الخصيمتين»(١٢٨)، وليس أدل على استقرار تلك العداوة أكثر من توجه ابن فركون بتهنئة إلى مليكه بمناسبة موت عدوه فرنادو طاغية أرغون الملقب بالإفنت وهو الذي تغلب على الكثير من حصون الإسلام ومعاقله. يقول ابن فركون في ذلك مهنئًا وذلك في عام تسعة عشر وثمانمائة حين ورد الخبر على الحضرة العلية:

هو النصرُ لا وانٍ ولا مُتَماكِثُ ركائِبُهُ طَوْعُ السُّعودِ حَثَائِثُ

هو الفتحُ عزَّتْ أرضُ أندلسٍ به ... وذَلَّ الْمُناوي والعدوُ الْمُناكِثُ
هو العِزُّ لا يفنَى مُردَّدُ ذكرِهِ ... مُخَلّدُهُ في صفحةِ الدهرِ لابِثُ
هو الصُّنْعُ قد جَلَّت فذلت لِعِزِّها ... طُغاةٌ بُغاةٌ للعهودِ نَواكِثُ
أُصيبَ إفَنْتُ الروع فارتاعَ قومُه ... وأضحتْ بطاحُ الرشدِ وهي أَواعِثُ
تجرَّعَ صَابَ الموتِ لا دَرَّ درُّهُ ... فأيدي المنايا كيف شاءَتْ عوابِثُ
أصابته من صَرْفِ الزمانِ مُصيبةٌ ... بها الموتُ عاثٍ في حِماه وعائِثُ
(١٢٩)

إلى أن يقول:

وَهَى ركن عُبَّادِ الصَّليبِ بموتهِ ... فها هو من بَعْدِ العُلَى مُتَقاعِثُ
تقدّم يقفو في الجحيم سَبيلَهُ ... لَمُنْتَحِلي الإشْراكِ رَكْبٌ أشاعِثُ
فقد راقَتِ الدنيا جمالاً وبهجةً ... وقد أخصَبَتْ منها بطاحٌ عثَاعِثُ(١٣٠)

كشفت الأبيات عن حقيقة المشاعر تجاه الإفنت وقومه ولم يعد بعدها مجال للقدح في موقف يوسف الثالث وشاعره من أسباب عقد الصلح أوالهدنة.

ويفسر ابن شريفة الصلح القائم بين أبي سعيد والقشتاليين بأنه كان بغرض «حماية الشواطئ المغربية، والحيلولة دون وصول إمدادات من يوسف الثالث إلى صنيعته السعيد»(١٣١)، على أنه يرى أن هذا العرض المشروط بتسليم جبل طارق إلى القشتاليين وتسليم النصارى الأسرى عنده وتحسين معاملة التجار الأرغونيين في فاس، يرى أنه لم يتحقق منه سوى الشرط الأخير، فيما يؤكد أن هذا الصلح استفاد منه أبو سعيد أكثر مما مكن أعداء الإسلام.

وعلى ما قدمه مقدّم الديوان من قيمة تاريخية عظمى للديوان لما حواه من مضامين تكشف لأول مرة عن أحداث مهمة صاغتها تهاني ابن فركون، وذلك ضمن قوله: «تبدو قيمة ديوان ابن فركون، كوثيقة تاريخية نفيسة، حول فترة دقيقة وغامضة في تاريخ المغرب والأندلس، وذلك بسبب ضياع مصادرها الأصلية مثل "الروض الأريض" لابن عاصم، و"تاريخ دولة أبي سعيد" للتاروتي الذي نفهم الآن سر وضعه

لهذا التاريخ، إذ كانت دولة أبي سعيد مليئة بالأحداث المؤلمة، ومن الغريب أن أبا سعيد هو ثاني سلطان مريني يُخص بالتأليف بعد جدِّه الأعلى أبي الحسن المريني غير أن هذا يمثل الدولة في أوج عظمتها وذلك مثلها في وهدة انحدارها»[١٣٢].

كما يقول: «واعتمدت في ذلك على المضامين التاريخية في الديوان، وهي مضامين تعرف لأول مرة»[١٣٣].

غير أن ابن شريفة يوجه انتقاداته إلى ابن فركون، ويرى أن قصائده التي ترددت فيها استجابة يوسف الثالث لنداء سبتة وأهلها وأنه سيهب إلى نجدتهم وطرد البرتغاليين بأنها فيما يبدو «مجرد كلام قاله تملقًا للسلطان، وإرضاء للعامة»[١٣٤].

ومجمل القول إن السفارات لم تنقطع بين ملك أرغون والمملكتين الغرناطية والمغربية، وقد كان في ذلك يرمي إلى مصالحه ويستغل العداء القائم بين النصريين والمرينيين لتحقيق أغراضه حتى سقطت المملكتان نهبًا للفرقة والخصومة التي ما فتَّت إلا في عضديهما وآذنت بزوالهما، فلم يكن يوسف الثالث يعلن الجهاد ضد القشتاليين بعد سنة ٨١٤هـ واتجه إلى عقد الهدنة إلى حين وفاته وقد دفعه إلى ذلك سببان كما رأى محقق الديوان، «أولهما: التفرغ لاسترجاع جبل طارق الذي أعلن أهله الانضمام إلى بني مرين والتضريب بين ملوكهم وأمرائهم»[١٣٥].

وقد كان تشغيب أبي سعيد عثمان علي يوسف الثالث محاولة لإسقاط ملكه حين وجه السعيد المريني في أسطول إلى المغرب لتحقيق ذلك، لمناصرة أبي سعيد أهل الجبل في عصيانهم وطلبهم الانضمام إلى بني مرين وذلك «نظرًا لسمعتهم في الجهاد والدفاع عن الأندلس»[١٣٦].

ويظل الصراع قائمًا بين المملكتين الغرناطية والمغربية حتى تسبب لا في ضياع غرناطة وإنما كذلك في ضياع سبتة وخرابها.

تهاني ابن فركون في الميزان

مثل شعر التهاني في ديوان ابن فركون حالة الشعر في نهايات دولة الإسلام في الأندلس، فقدم لنا صورة مضيئة مازالت تحاول الاحتفاظ برونق الشعر ورصانته حاله في ذلك حال سائر المحاولات الأخرى في التمسك بما تبقى والمحافظة عليه استشعارًا للخطر الداهم، فجاء شعر التهاني ليقدم نموذجًا من الاتباع التقليدي في أغلب صوره شكلاً وموضوعًا.

ومن المناسب وقد انتهينا من لب الدراسة وهدفها أن نضع ما عرضناه على الميزان النقدي لنوفيه حقه، ونضع أيدينا على ما لهذا الغرض المهم في أشعار ابن فركون من مزايا تحسب له، أو ما عليه من مآخذ تؤخذ ، لنكون بعد ذلك أنصفنا الرجل. مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذا الغرض من الشعر إنما جاء في فترة أحاطت فيها الأخطار والتهديدات – من الداخل ومن الخارج – مملكة غرناطة آخر ما تبقى من الممالك الأندلسية ليكون بعدها ذلك مفسرًا ومعللاً لبعض ما يؤخذ على الشاعر. فقد كان أغلب شعر التهاني بدافع حماية الدولة الإسلامية في صورة السلطان يوسف الثالث .

المنهج:

اتخذ شعر التهاني نهجا يميل فيه إلى الإطالة وإن كان ديوانه في مجمله يتراوح بين ذلك وبين القطع الصغيرة، وغرض التهاني وهو من الأغراض التي حظيت باهتمام سلطاني فآثر فيه الشاعر الميل إلى طوال القصائد حتى إن تهنئته تصل إلى مائة وخمسة وثلاثين بيتًا، وهي عرض مشهدي جمع فيه السلطان احتفالاً بإعذار مولود له وعقيقة

ولدين آخرين وعقد البيعة لولي عهده، وعلى هذا يسير شعر التهاني أو ينقص عددًا بأقل عن ذلك بيسير.

على أن من الأهمية أن نذكر أن أشعار ابن فركون اتبع فيها المنهج الكلاسيكي القديم في شكل القصيدة من حيث الاستهلال بالوقوف على الأطلال ووصف الرحلة لكنها لم تكن مكتملة لاختلاف البيئة الأندلسية، غير أنها بالنسبة لشعر التهاني جمعت إليها سمة مهمة بهية مبهجة فاهتم بإشاعة البهجة في مستهلات شعر التهاني لما يتناسب والفرح والابتهاج بتلك المناسبات التي تدخل السرور لا على السلطان وحده بل على من حوله من كبار رجالات الدولة والرعية بأسرها. فتظهر الألفاظ التي تحمل تلك الدلالات .

إن استخدام ابن فركون للفظ " هنيئًا " مع تكراره أشاع جوًا من البشر والطلاقة والحبور. وقد يصف ابن فركون في تهانيه الطبيعة لتكون مدخلاً مشاركًا لتهنئة السلطان والابتهاج بمناسباته التي تدخل السرور على الطبيعة ذاتها. على أن اتباع المنهج التقليدي لم يكن بقدر كبير من الالتزام. فنراه يتخلى عنه إلى التهنئة بصورة مباشرة لاعتقاده بأنها الأولى، أو حين تكون التهنئة في أمر عظيم كانتصار أو فتح أو غلبة على ثوار مارقين.

وقد يستهل ابن فركون تهنئته بمقدمة غزلية لتكون مناسبة إلى تحول عاطفته وحبه إلى ممدوحه ومهنئه. على أن عاطفة الغزل والتشبيب لم تكن على قدر وفير من صدق العاطفة فما هي إلا أساليب احتالها أو تقاليد اتبعها.

وكما اهتم ابن فركون بمقدمات تهانيه اهتم بخواتيمها، فهي آخر ما يقرع الأذن، لذا كان يحمّلها معاني الدعاء للسلطان ومملكته والتعظيم من شأنه حتى تقع في النفس موقعًا طيبًا مستحسنًا فيلقي بذلك القبول والرضا.

اللغة

تمثل لغة شعر التهاني في ديوان ابن فركون اللغة ذاتها في مستواها الأنيق اختيارًا وتعبيرًا، كما جاءت كاشفة عن المناسبات السلطانية والظروف السياسية والاجتماعية التي ألمت بهذا العصر وأثرت في أشعاره. وقد استعمل ابن فركون في تهانيه لغة التأنق فهي أوجب كونها متوجهة إلى السلطان، وهي في الوقت ذاته تميل إلى البساطة وتضم إليها الجزالة وتحافظ عليها بما يتناسب مع أهمية المناسبات وأهمية التعبير عنها بلغة مشرقة واضحة بعيدة عن الغموض والالتواء، لكنها قد تحمل القليل من الألفاظ المعربة مما ساد في عصره .وإن كانت لغة التهاني تحمل من البشر والتهليل الشيء الكثير فإنها حملت كذلك من الغضب والازدراء والتحقير لأعداء السلطان والخارجين عليه الشيء نفسه .كما نجدها تحمل قدرًا كبيرًا من ثقافة الرجل الإسلامية متمثلة في المعاني القرآنية تأييدًا للسلطان وكشفًا عن شخصيته المتدينة وكرم محتده وروحه التقية الورعة المجاهدة الدافعة عن حمى الإسلام.

ويحسب لابن فركون أن لغته اتسمت بامتلاكه ثقافة أدبية وإسلامية واسعة ومعارف تاريخية عديدة، كلها ظهرت في أشعاره فكانت خير معين له في التعبير عن مضامينه وأفكاره.

نقول وإن كانت لغة شعر التهاني استقت من معين لا ينضب ومن ثقافات غير محدودة، غير أنها عمدت إلى الترديد والتكرار في بعض المواضع، ربما للتأكيد على المعاني وربما للتأثير الموسيقي، وأغلب الظن أن كثرة المناسبات وكون هذا الشعر – التهاني – هو في أغلبه تلبية لحاجة سياسية متكررة ، مما أوقع الشاعر أو ألجأه إلى التكرار والإعادة لا للمعاني فحسب وإنما في بعض الأحيان إلى التراكيب والتشبيهات ذاتها.

الموسيقى

حمل شعر التهاني عند ابن فركون كثيرًا من اهتمامات العصر بالفنون البديعية وكأنها تشارك في مظاهر الابتهاج والتزّين والتجمّل لاستقبال تلك المناسبات وتكون على قدر أهميتها، مما كان له كبير أثر فى الموسيقى الداخلية. مما زاد التأثير عمقًا ودلالة .

إن ميل ابن فركون إلى الإطالة في عدد الأبيات دفعته إلى اتخاذ البحور المطولة كذلك ، لتكون هناك فسحة في وصف هذه المناسبات المهيبة التي كانت تقع موقع اهتمام السلطان حيث يجمع لها الأكابر والسفراء ، وهي في معظمها على بحري الكامل والطويل، مما اتاح لابن فركون أن يعبر عن مشاهداته وتهانيه بتلك المناسبات في أتم صورة وأبلغ مشهد. غير أن هذا الميل إلى إطالة عدد الأبيات وعدد التفعيلات أذهب بجدة المعاني وطرافتها، حيث غلب على معاني شعر التهاني التكرار، بحيث يمكن بكل يسر ملاحظة ذلك لا في المعاني فسحب إنما كذلك في بعض الأبنية التعبيرية.

اعتنى ابن فركون في تهانيه بالقوافي والروي استكمالاً للزينة والأثر الموسيقي الذي يهدف إليه. غير إنه وإن ضم ديوانه أشكال موسيقية متنوعة تعد ظاهرة في ديوانه نحو: التخميس والتوشيح ولزوم ما لا يلزم والدوبيت والتذييل وتركيب قافية لأبيات شاعر آخر ، غير أن هذه الأنواع الموسيقية خلا منها شعر التهاني فهي لا تناسب المقام السلطاني، الذي يدعوه إلى استخدام الأشكال التقليدية الراسخة الوقورة.

لكن هذا لا يمنع من القول إن اهتمام ابن فركون بموسيقى شعره طغى على المعنى والعاطفة، فقد كان على قوة شعره وجزالته محترفًا صانعًا ينشئ على البداهة والارتجال في أحايين كثيرة. أو ينشئ بأمر السلطان وطلبه.

الصورة:

ولما كان ابن فركون متوجهًا بتهانيه إلى السلطان وقد أوقفها عليه، مما يفسر غزارة الصور الفنية لديه التي لم يقتصرها على تصوير البيئة وابتهاجها بالمناسبات ومشاركة المكان لهذه المناسبات أو تلك ، فقد خلع من أوصاف الحسن والبهاء على السلطان، فهو حامي حمى الإسلام. من هذا المفهوم كوّن ابن فركون تشكيلاته البيانيّة، راجعًا في ذلك إلى ثقافته الشعريّة والدينيّة، فيوسف الثالث صاحب الحسن والطلعة البهية وهو كذلك قاهر الأعداء والغالب عليهم. ولكثرة المناسبات التي تعددت دواعيها فإن المعاني جاءت مكرورة في مواضع كثيرة من شعر التهاني كما جاءت تحمل قدرًا غير قليل من المبالغات دفعه إليها رغبته في تحسين صورة السلطان وتثبيت دعائم ملكه. وربما كان الشعور الحاد بالمخاوف والأخطار التي كانت تهدد المملكة الأخيرة واستماتة السلطان في إبقائها وحمايتها كان دافعًا وطنيًا نابعًا من عقيدة الدفاع عن الإسلام والمسلمين أمام هذا الخطر المحدق بمملكة غرناطة من جميع جهاتها.

ولأجل ذلك كان يبالغ في تصوير قوة السلطان وشرف جهاده وبطولات أعماله وفي الوجه الآخر خسة أعدائه وهوانهم وذلهم، سواء في ذلك أكانوا قشتاليين أم بربرًا أم عربًا.

اهتم ابن فركون في تصويره للمناسبات التي قدّم فيها التهاني اهتمامًا بالغًا بالسلطان والاحتفالات والحروب والانتصارات وعراقة النسب، وكان في ذلك على

غير ما عهد من شعراء الأندلس من احتفائهم البالغ بالطبيعة ومظاهرها الثرية. فجاءت التراكيب البيانية للطبيعة في شعر التهاني خادمة لشخص السلطان وأعماله، لا لذاتها كما هو معتاد عند شعراء الأندلس من إفراد مقطوعات كاملة في قصائدهم لوصف الطبيعة التي سحرتهم بألوانها .

نجمل القول في أن أشعار ابن فركون التي توجه به إلى تهنئة السلطان يوسف الثالث اتبع فيها الأساليب التقليديّة الرصينة متسقًا في ذلك ومكانة السلطان وطبيعة المناسبات التي دعته إلى التهنئة .وقد أفاد فيها من موروثاته التي استدعاها ليخرج شعر التهنئة في آنق صورة وأبهى مظهر وأقوى نسج ، غير أن التزامه بشخص واحد وموضوعات ومضامين بعينها ، هي في أغلبها قد تعتبر من مكملات المشهد السلطاني ومن دواعيه التي يحاط بها قد يفسر التكرار والدوران في دوائر محددة لا يجوز الخروج عنها. وقد ترك هذا أثره على الإبداع الفني للشاعر في هذا الغرض مما نستطيع وسمه بافتقار قصائد التهاني إلى أمرين مهمين، أولهما: التجديد والابتكار. وثانيهما: حرارة العاطفة وصدقها، على أن هذا لا يقلل من قيمة شعر التهاني في الديوان لما قدّمه من قيم تاريخيّة على درجة بالغة الأهمية لفترة ندر فيها تدوين أحداث جسام شكلت مصير دولة الإسلام في أواخر عهدها. وقد صبّ هذا الغرض في شكل رصين مسبوك لغة إيقاعًا وتصويرًا.

مستخلص البحث

- عاد الفضل في القصائد التي توجه بها ابن فركون إلى مخدومه يوسف الثالث مهنئًا في سائر المناسبات، فأطلعنا وبصورة تفصيلية على حياة مليكه وعهده وصلاته، حتى نستطيع القول إن شعر التهاني في ديوان ابن فركون يعتبر غرضًا أساسيًا له قيمة ومكانة من ديوانه الذي بين أيدينا.
- يعتبر شعر التهاني في الديوان يحمل أعظم ما يحمل قيمة تاريخية كبرى حيث يصنف وثيقة تاريخية ضنّت بها المصادر الأولى التي اعتمدت على نتف من أخبار يوسف الثالث في المصادر القشتالية.
- كشفت هناءات ابن فركون جوانب من حياة الملك الخاصة في متنزهاته وزواجه وإنجابه ... إلخ، وغير ذلك من الجوانب التي تتمثل فيها شخصية هذا الملك وصفاته وطباعه.
- أعطت تهاني ابن فركون صورة واضحة الخطوط لألوان الحياة في مملكة غرناطة في عهد السلطان يوسف الثالث وما دار فيها من مناسبات وأعياد ومراسم.
- أشارت تهاني ابن فركون إلى عقود الصلح والهدن التي قامت بين مملكة غرناطة في عهد يوسف الثالث وبين دولة المرينيين ودولة القشتاليين.

- كما كشفت عن التناحر والمكايد وأصحابها المدبرين لها الذين أعلنوا الخروج عن السلطان أكثر مما أعلنوه من المؤازاة أو المهادنة.
- أعطت هذه الهناءات دليلاً على احتفاء يوسف الثالث بالشعراء وتقريبهم وعلى وجه الخصوص كاتم سره ابن فركون.
- أشارت إلى إصرار يوسف الثالث على المحافظة على مملكة غرناطة المسلمة بالجهاد تارة وبالمصالحة تارة أخرى.
- تجلت في تهاني ابن فركون قدرته على مواكبة الأحداث على تلاحقها واهتمامه برصدها والتوثيق لها في صورة دقيقة أمينة.
- اكتسبت تهاني ابن فركون قيمة أعظم من خلال تلك المقدمات التاريخية الدقيقة التي قدَّم بها لقصائده.
- اعتبر ابن فركون أول من مزج التهنئة بالرثاء وذلك حين تقدم بتهنئة إلى ابن السلطان يوسف الثالث عند توليه زمام الحكم وفي الوقت ذاته رثى والده وولي نعمه.
- تظل تهاني ابن فركون التي أوقفها على السلطان يوسف الثالث تحتاج إلى نظر الباحثين تدبرًا فيما تحمله من قيم أدبية فنية لم يكن محلها هذه الدراسة.

هوامش البحث:

(١)ديوان ابن فُركون، تقديم وتعليق محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة "التراث"، الرباط، المغرب، ١٩٨٧م.

(٢) مقدمة الديوان: ٩.

(٣) انظر: نسب ابن فركون وصلاته ، مقدمة الديوان، ص : ٩ – ١٨.

(٤) انظر الترجمة في الإحاطة: ١ : ١٥٣، والكتيبة الكامنة: ١٠١، ونيل الابتهاج: ٦٤، المرقبة العليا: ١٣٨، ودرة الحجال: ١٠ : ٤١.

(٥) أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، عناية وتقديم: د. عبد الحميد عبد الله الهرّامة، منشورات دار الكتب، طرابلس، ليبيا، ط٢، ٢٠٠٠م، ص: ٨٢.

(٦) لسان الدين بن الخطيب: الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، ت: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م، ص: ١٠١.

(٧) مقدمة الديوان: ١٦.

(٨) انظر التعريف بيوسف الثالث في مقدمة الديوان: ١٩.

(٩) مقدمة الديوان: ٢٨.

(١٠) مقدمة الديوان: ١٧.

(١١) مقدمة الديوان: ١٧.

(١٢) أدب السياسة والحرب في الأندلس، ج٤، ص ١٧٩.

(١٣) ديوان ابن فركون: ١٩٠.

(١٤) الديوان: ١٩٠.

(١٥) الديوان: ٢٣٢.

(١٦) الديوان: ٢٢٨.

(١٧) الديوان: ١٠٣.

(١٨) مقدمة الديوان: ١٠٥.

(١٩) الديوان: ١٠٥.

(٢٠) الديوان: ٣٨٢.

(٢١) مقدمة الديوان: ٣٨٢.
(٢٢) الديوان: ١٥٦.
(٢٣) الديوان: ١٥٦.
(٢٤) الديوان: ١٦٣.
(٢٥) الديوان: ١٦٦.
(٢٦) الديوان: ١٨٠.
(٢٧) الديوان: ١٨٦.
(٢٨) الديوان: ١٦١.
(٢٩) الديوان: ١٦١.
(٣٠) الديوان: ٣٦٢.
(٣١) الديوان: ٣٦٢.
(٣٢) الديوان: ٣٧٤
(٣٣) الديوان: ٣٧٥.
(٣٤) الديوان: ١٢٢.
(٣٥) الديوان: ١١٢.
(٣٦) الديوان: ١١٢.
(٣٧) الديوان: ٣٢٨.
(٣٨) الديوان: الصفحة ذاتها.
(٣٩) الديوان: الصفحة ذاتها.
(٤٠) الديوان: ١١٥.
(٤١) الديوان: ١٣٣.
(٤٢) الديوان: ١٢٨.
(٤٣) الديوان: ١٢٩.
(٤٤) الديوان: ١٣٧.
(٤٥) الديوان: ١٧٤.
(٤٦) الديوان: ١٧٢.

(٤٧) الديوان: ٣٣٧.

(٤٨) الديوان: ٣٣٨.

(٤٩) الديوان: ١٧٠.

(٥٠) الديوان: ٣٣٤.

(٥١) الديوان: ٣٥٢.

(٥٢) الديوان: ١٤٤.

(٥٣) محمد عبد الله عنان: العصر الرابع نهاية الأندلس وتاريخ العرب المستنصرين، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، ص : ٣.

(٥٤) أنطونيو بالاثيوس روميرو: لمحة من تاريخ الأندلس، يوسف الثالث في ديوان ابن فركون، جريدة صوت الشعب، www.sootalshab.com نشر بواسطة وائل عباس بتاريخ ٧ ذو الحجة ١٤٢٥هـ

(٥٥) ابن فركون الأندلسي: شاعر غرناطة، قاسم القحطاني، ط١، أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنية، ص: ٦٢.

(٥٦) الديوان: ١٢٠.

(٥٧) الديوان: ١٢٢.

(٥٨) الديوان: ١٥٦.

(٥٩) الديوان: ١٦٣.

(٦٠) الديوان: ١٨٠.

(٦١) الديوان: ٢٠١.

(٦٢) الديوان: ٢١٣.

(٦٣) الديوان: ٣٤٥.

(٦٤) الديوان: ٣٨٢.

(٦٥) الديوان: هامش ٣٨٢.

(٦٦) الديوان: ٢٢٠.

(٦٧) الديوان: ١٣٣.

(٦٨) الديوان: ١٤٥.

(٦٩) الديوان: ١٤٦.

(٧٠) الديوان: ٣٥٢.

(٧١) نزار شكور شاكر : مقدمات ابن فركون لأغراضه الشعرية، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، العدد (٤٢، ١٣ رمضان ١٤٣٦هـ - ٣٠ حزيران ٢٠١٥م، ص: ٤٩١).

(٧٢) الديوان: ١٩٠.

(٧٣) الديوان: ١٩٥.

(٧٤) الديوان: ١٩٦.

(٧٥) الديوان: ٢٠٠.

(٧٦) الديوان: ٢٠٠.

(٧٧) الديوان: ٢٢٣.

(٧٨) الديوان: ٣٦٤.

(٧٩) الديوان: هامش ٣٦٣.

(٨٠) الديوان: ٣٧١.

(٨١) الديوان: ٣٧٢.

(٨٢) الديوان: ٢٢٧.

(٨٣) الديوان: ٢٢٨.

(٨٤) الديوان: ١٩٨.

(٨٥) الديوان: ١٣١.

(٨٦) الديوان: ١٩٤.

(٨٧) الديوان: ١٩٦.

(٨٨) الديوان: ١٩٦.

(٨٩) الديوان: ٢٣١.

(٩٠) أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٩م، ص ٤٤٦ – ٤٤٧.

(٩١) الديوان: ٣٨٢.

(٩٢) الديوان: ١٢١.

(٩٣) الديوان: ١٢٢.

(٩٤) الديوان: ١٢٤.

(٩٥) الديوان: ١٥٦.

(٩٦) الديوان: ١٥٧.

(٩٧) الديوان: ١٨٠.

(٩٨) الديوان: ١٨٢.

(٩٩) الديوان: ١٨٢.

(١٠٠) سراب اليازجي: ملك غرناطة يوسف الثالث – حياته وشعره، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، ١٩٩٠م، ص ٢٨.

(١٠١) الديوان: ١٦١.

(١٠٢) الديوان: ١٦٢.

(١٠٣) الديوان: ١٢٩.

(١٠٤) الديوان: ١٣٠.

(١٠٥) الديوان: ١٧٥.

(١٠٦) الديوان: ١٧٥.

(١٠٧) الديوان: ١٦٣.

(١٠٨) الديوان: ١٦٣.

(١٠٩) الديوان: ١٦٣.

(١١٠) الديوان: ١٦٦.

(١١١) الديوان: ١٦٦.

(١١٢) الديوان: ١٦٦.

(١١٣) الديوان: ١٦٦.

(١١٤) الديوان: ١٦٧.

(١١٥) الديوان: ١٤٥.

(١١٦) الديوان: ١٤٦.

(١١٧) الديوان: ١٧١.

(١١٨) الديوان:

(١١٩) حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، ط٢، ١٩٩٧م، ص: ٤٥١.

(١٢٠) الديوان: ١٧٢.

(١٢١) الديوان: ١٧٢.

(١٢٢) الديوان: ١٧٣.

(١٢٣) مقدمة الديوان: ٩٥.

(١٢٤) الديوان: ٢٠٨.

(١٢٥) الديوان: ١٣٠.

(١٢٦) مقدمة الديوان: ٩٣.

(١٢٧) إسماعيل بن إبراهيم بن أمير المؤمنين: تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط من خلال مخطوط (تاريخ الأندلس)، تحقيق وتعليق وعرض: أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة المرينية، القاهرة، ط: ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ص ٩٧.

(١٢٨) الديوان: ٣٤٥.

(١٢٩) الديوان: ٣٤٥.

(١٣٠) الديوان: ٣٤٥.

(١٣١) مقدمة الديوان: ٩٢.

(١٣٢) مقدمة الديوان: ٩٤.

(١٣٣) مقدمة الديوان: ٩٥.

(١٣٤) مقدمة الديوان: ٨٩.

(١٣٥) مقدمة الديوان: ٦٨.

(١٣٦) مقدمة الديوان: ٧٠.